الـــوهـــم

قصص قصيرة

محمد نبيل الخربوطلى

obeikandl.com

اسم الكتاب	الوهم (مجموعة قصصية)
المؤلف	محمد نبيل الخربوطلى
دار النشر	دار سما للنشر والتوزيع
التليفون	٠١١١٩٥٧٨٤٢٧ - ٠١١١٣٠٦٨٤٠٩ - ٠١٢٨٤٣١٨٤٤
الطبعة	الأولى
العنوان	٣١ ش الإمام - جيزة - جمهورية مصر العربية
رقم الإيداع	٩٢٦٦ - ٢٠١٤
الترقيم الدولى	٢ - ٠٧ - ٦٣٧٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ولا يسمح بنسخ الكتاب أو جزء منه بأي طريقة كانت ورقية أو إلكترونية إلا بإذن كتابى من الناشر

للنشر والتوزيع

التنسيق والإخراج الفنى: المكتب العربى لخدمة الكتاب والتراث

٠١١١٥٧٤٢٣٠٣ - ٠١٢٢٠٣٧٨١٢٥ - ٠١١٤٥٣٢١٣٨٧

obeikandl.com

الـــوهـــم

قصص قصيرة

بقلم : صيدلى

محمد نبيل الخربوطلى

عدد القصص (١٣)

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)
أنا سناء الرهيبة

هذه هى مذكراتى التى أسميتها (أنا سناء الرهيبة)، ولقد كتبتها من أجل اللاشىء.. لا أقصد بيعها او استثمارها ولكنى غاضبة، لأن هناك ذنب فى حياتى سيأتى ذكره مع سرد الأحداث وأريد التخلص منه هذه هى وصية أبى.. الصيدلي/ ماهر أحمد.. قال لى ذات يوم وأنا مازلت فى بداية المرحلة الثانوية (إذا ما ضايقتك احداث يا سناء أكتبيها ثم مزقيها) وها أنا ذا أفعل ذلك.

أنا أكتب مذكراتى كاملة كفصل فى الحياة وقد بلغت السابعة والعشرين ومتزوجة من الصحفى مدحت وهو صحفى سياسى أخذ دوره منذ عامين فقط، مجتهد نشيط، ألمعى وفدائى ومفعم بالرجولة، ولعل هذه الألمعية هى التى حببتنى فيه ولكن هناك شيئاً آخر جعلنى متيمة به ألا وهو الرجولة.. فهو يمكن الاعتماد عليه وله حتى كما قال له رؤساءه له: أنه يملك رؤية يرى بها العالم،

obeikandi.com

ولعل هذه الرؤية هى التى جعلته متميزاً فى كل شىء حتى فى لون رباطة العنق لن أطيل فى هذه النقطة بالذات لأن كل صحفى يرتبط بالصحافة ويختار مهنة البحث عن المتاعب لابد أن يُحب لأنه قوى.

أنا من أسرة غنية، أبى صيدلى وثروتنا كبيرة وأنا البنت الوسطى بين أخت كبيرة لى وأخ صغير، مازال فى الجامعة الآن يدرس القانون.. لهذا فأنا المرحلة الوسطى فى الأسرة ولكنى شىء مختلف.. باختصار شديد..أنا رهيبة.. أبى ربانى لأكون خليفته فى عالم الصيدلة والمال لأننى منذ نعومة أظافرى قد اخترت ذلك بينما أختى الكبرى اختارت الطب، لهذا نشأت على أن أكون الوريثة الشرعية لصيدليتين وبداية توكيل للأدوية وهكذا احتككت منذ نعومة أظافرى بمهنة الصيدلة وشئون المال وقد ربى ذلك فيّ أن أكون قرينة الرجال فنشأت على شىء يفسر كل سلوكياتى، وهى أننى إذا صممت على شىء فلابد من تنفيذه وهذا هو جوهر نظرية نجاح أبى.

نعم إذا صممت على شىء لأبد من تنفيذه وقد أزدت أنا أنه

لابد أن يكون لذلك خططه ولابد من تصميم الخطط بناءً على معرفة وبتحديد الهدف,,, أنا أقول ذلك الآن وبكل وضوح ولكنى عندما بدأت رحلة حياتى فى الحياة كمكافحة صغيرة كان لابد أن أذهب إلى كوادر العمل الصحفى النسائى وقد كان. أنا رقيقة جدا.. حساسة جداً.. جميلة جداً... أهم ما يميزنى هو شعرى الكثيف الشديد النعومة السارح إلى بداية المنكبين فى رزانة مع عينين سوداويين إذا ما أكتحلتا الكحل الفرعونى صرت فى جمال كليوباترا ولكنى لا أملك وجها رفيعا مثل نفرتيتى.

الانفجار الأكبر الذى بحياتى كان انفجار البلوغ - للعلم (دمى حامي) رغبتى الجنسية كانت شديدة.. لم أستطع مع البلوغ أن أوقفها عند حدها، كنت أشعر بذلك الشعور والحنين إلى الرجل، ذلك الحنين الذى يقتلعنى من جذورى ويسحق قلبى ويخلفنى محطمة لأن ذلك فى فى عرفى من قلة الحب ولكن ماذا يمكن أن يحدث وأنا كذلك ؟!!

تسربت الرغبة مع أحلامى حتى احتوتنى فكنت أختلى مع نفسى ساعات الليل خاصة فى الإجازة الصيفية وأحتوى الوسادة

وأتابع أغانى أم كلثوم وعبد الحليم وقد احتوتنى الرغبة حالمة كل ساعة بأحد الممثلين سواء كان من المحليين أو العالميين.. أنا أعرف أن هذا ضعف ولكن هذا الضعف لم يجعلنى أفكر أبداً فى الزنا..كانت الرغبة تقتلعنى من جذورى وتوّلد فيّ الحنين إلى جسد الرجل وإلى حياته وإلى ممارسة الجنس معه ولكن من المحال أن يتحول ذلك إلى زنا وانحراف، وهنا وجدت ضالتى فى الصلاة فإذا بالثورة الجنسية فى حياتى فى يدى ولكن الطهارة والوضوء والصلاة لم تقللن الرغبة لأن ظرفى ومرحى ودمى الساخن كانوا يحولون بين ذلك وذلك.. حاولت كل شىء ولكن بقيت الحالة الجنسية لدى هى شاغلى الأكبر.. وهنا يقظت سناء لتُقسم بالله بأنها لن تُمس إلا تحت الميثاق الغليظ وأنها مصممة على أن تنهى ذلك الشىء الرهيب. صممت أن أغتال هذه الرغبة فرحت إلى الصلاة والقرآن والقراءة حتى أصبحت أكثر تحت السيطرة وهكذا نجت ولكن الجحيم كان دائماً تحت الدماء حتى إذا ما جاء الليل لابد أن يضطرم ؟!! وضعت خطتى على الفور وهو تحويل وقت فراغى إلى وقت مثمر فقررت الانضمام إلى العمل النسائى.. فى الحقيقة أنا

غير مغرمة بالعمل العام ولكنى ذهبت من أجل أن أراهن ومن أجل أن يرشدونى إلى الكتب التى لابد أن أقرأها وكان هذا من بنات أفكارى لأننى لابد أن أكون مطلعة حتى أستطيع أن أضع الخطط الواجبة من أجل الأهداف المحددة.. ذهبت إلى دار الهلال والأهرام والأخبار وقابلت رائدات العمل العام للمرأة لم يكن الأمر سهلاً لأن الرائدات مشغولات ولا وقت لهن لمثلى ولكن كان لابد للتصميم أن يأخذ دوره ونجحت نجاحاً ساحقاً.. كلهن قلن لى أننى أملك ربحاً جيداً وأن شخصيتى حاضرة وأننى أستطيع أن أنضم للعمل العام لأن فى داخلى تصميم رائع على تنفيذ الأفكار.. رأيت فى الرائدات المرأة الكاملة.. تحدثنا فى كل شىء بقلوب مفتوحة.. السياسة.. الاقتصاد.. غلاء الأسعار.. الرجل المرأة.. المسألة صعبة لأن المرأة عاشت عهوداً طويلة تحت الحصار والانكسار حتى أتى عليها الأنكسار، وأن الرجل الظالم وأن هذه هى الحقيقة وأن المرأة بالزواج تعطى كل شىء ولكن الرجل لا يعطى إلا بالمقدار الذى ينجب معه.. الرجل ظالم ومستبد فى معظم الأحيان وأن هناك الديان والأنسان والأديان والمودة والرحمة قبل الدين والشريعة

openkanal.com

وتعدد الزوجات.

المسألة أن الرجل فاشل وهذه حقيقة، المرأة تعطيه كل شيء وتحبه وهو لا يعطيها إلا الجسد وحب عميق لأن لم يرتوِ بعد ولكن بعد الارتواء يصبح الحب بينهما روتين وتصبح قبلة الرأس من المستحيلات.. كنت أوافق على كل ذلك.. الرجل غبى وأحمق وأنه بالفعل لا يحب أو أنه فاشل.. لا يعرف كيف يجعل المرأة تحب وأننى تعطيه كل شيء.. وهذا هو الرأى الصائب.. الرجل مخلوق فاشل لأنه لا يعرف كيف يجعل المرأة والتى أعطته كل شيء حتى الرحم تحبه؟!! وكانت هذه هى المأساة. انتهزت الفرصة وتحدثت عن الجنس فإذا بإحدى الرائدات تقلن (اغتصاب) الرجل يغتصب المرأة.. يعتبر أن الجماع حق من حقوقه وهو كذلك ولكن المسألة تحتاج أى تمهيد ومصارحة لأن الرغبة متبادلة.. الرجل يجاهر بالرغبة ولكن إذا ما جاهرت المرأة بالرغبة تصير فى ذمته عاهرة؟!! وهذا جزء كبير من الحيف الواقع على منكب المرأة.. اقتنعت بلك جداً ولكن ما هو الحل؟ حياتى مختلفة فى كل شيء فى النهار والليل، فى العمل وفى الفراش، خاصة أن رغبتى ملتهبة. وكما فهمت لابد أن تكون صراحة

obeikandl.com

مطلقة بين الرجل والمرأة وهذه الصراحة هى التى تجعل من الجنس القوة الدافعة لجزء كبير من الحياة لأن الله أرادنا كذلك.. أراد لنا أن نتوحد. أن تتحد الأرواح والأنفس فى الحب وأن تتوحد الأجساد من أجل حياة جديدة من أجل الأطفال وهم النعمة الكبرى ومن أجل أن يحدث بالاتحاد الجسدى الارتواء الجنسى فيستقر الحب ويتقدم إلى البذل.. الرجل ظالم ظالم ظالم لأنه يستهلك المرأة.. يستهلك كل شىء بها.. حبها له.. أولادها منه.. الجسد.. الجنس.. التضحية..الوقت.. العمل والمال.. والرجل ساذج لأنه يعتقد أنه خدع المرأة والرجل أبله لأنه لا يعرف كيف يحب ولا يعرف كيف يجعل المرأة التى أعطته كل شىء تحبه.. المرأة على استعداد تام أن تعيش أشد القصص رومانسية لأنها مؤهلة لذلك ولأنها مخلوقة من أجل ذلك بالذات ولكن الرجل الذى نال وينال منها يوماً فى ظل الضوء الأحمر يتهرب من الحب لأنه أضعف من المرأة ولأنه جبان ويريد إلا أن يعيش مُستهلكا لها.. وهنا أخذت مناقشاتى تتعمق خاصة بعد أن اعتذرت عن العمل العام البسيط فرحت أقرأ عن كل شىء بعد أن كتبت لى الرائدات عدة قوائم بالكتب الأساسية فى الحياة.. كانت كتباً بسيطة

ولكنها كافية من أجل (الوعي) وهكذا وبعد أن أخذت تمر الأسابيع أصبحت أكثر وعياً من كل بنات جيلى.. أسلمتنى حياتى الجنسية وكل المناقشات المثمرة بينى وبين الرائدات إلى أفكار عديدة عن الرجل الذى سأتزوجه..من هذا الرجل الذى سأعطيه كل شىء ولن يعطينى إلا ما يريد(؟؟!) والحقيقة أن الحالة النفسية لى أسلمتنى إلى التطلع إلى الرجل لا كجنس فقط ولكن كشريك للحياة ولعل هذا المقطع (كشريك للحياة) هو الذى اكتسبته من كل المناقشات مع كل الرائدات وهو التطلع إلى الرجل وعدم رفض الرجل ولكن كشريك فى الحياة قاطبة وليس كشريك فى الفراش، كنت ساعتها فى المرحلة الثانوية عندما بدأت أقرأ بعض الكتب وبعض الروايات وهكذا بدأ عقلى ينمو مع نمو جسدى وبدأت التطلعات تزداد وبدأت وجهة نظرى عن الكون كله تتغير. السيطرة على الجنس كانت قوية ولكن عمق التيار الجنسى كان عميقا إلى درجة الاقتلاع من الجذور. كنت ساعتها فى ثانوى وكنت أسمع من أن لدوان الهمس فى أروقة المدرسة عن الرجل وعن وسامة الأستاذ (صبري) مدرس اللغة الفرنسية وكيف أن بعض الفتيات متيمات به ولكن كان كل ذلك مراهقة وأنا أكبر

openkanal.com

من أن أكون مراهقة.. أنا سناء. لا تأخذنى رغبتى إلى أن أعيش هائمة مع وسيم ولكن المراهقة الجنسية شىء آخر.. شىء أقوى من أن يقتلعنى ولكنه ما يلبث إلا أن أعود سيرتى الأولى. كان اليوم يوماً غريباً ألحت بعض الصديقات على اصطيادى لأننى كنت قوية وكن يردن أن يسيرين نحوي، دار حوار بينى وبين المجموعة...

سألونى عن الحب والمال وطموحاتى فأخبرتهم أننى سأدخل كلية الصيدلة مثل أبى ولسوف أدير الصيدليتين باقتدار وأنا قادرة على ذلك وأننا أغنياء ولكن الحب لا.. لا وألف لا.. لأنه ليس هو الدواء ولأننى لا أملك وجهة نظر بألا أكون مُستهلكة من الرجل ولأننى لم أقابل الرجل الذى يجعلنى أحبه.. كانت كلمة مُستهلكة من الرجل ولأننى لم أقابل الرجل الذى يجعلنى أحبه. كانت كلمة (مُستهلكة) جديدة تماماً فى قاموسهن فأدركن منى النضج ولكن ما لبث أن تحول إلى إتهام لى بالغرور وبأننى لا أعيش حياتى وأننى سوف أَهرِم فى خلال السنة القادمة عندما ندخل جميعاً الجامعة وأننى لا أعيش أيامى ولا شبابى وأننى أعيش دوراً آخر غير دورى البسيط فى الحياة، وأن الحياة بسيطة ألا وهى الحب.. رفضت أن

تكون الحياة كلها حب فى حب.. الحياة مسئولية ولابد من تحديد الأهداف ولابد من الخطط التى من خلالها تحقق الأهداف، وهكذا كانت كلمتا (الأهداف) و (الخطط) من الكلمات الحديثة فى كل شىء.. تعمقنا أكثر فى الحب وفى علاقة الرجل بالمرأة فقلت لهم (أن الرجل يستهلك (المرأة) فرددن (نعم الاستهلاك) ورددت (أنتن تحطمن المرأة.. وأن التعليم خسارة لكن) تعمقنا أكثر فإذا بالحديث يداهمنى عن جسد المرأة.. كان هذا اليوم يوماً رهيباً فى حياتى.. لأول مرة أعرف أسرار جسدى.. تدفق الدم إلى وجهى.. اندهشت كيف وصلن إلى كل هذا العلم وقررت أن اقرأ كتاباً علمياً عن الجنس وقررت أن أقرأ كتاباً علمياً عن الجنس ولكن كان علم الجنس ينسكب أمامى.. شككت أن هناك متهتكة بيننا كان اسمها (فايزة) وقد صارحتنا أنها سوف تعمل راقصة ولسوف تتحدى المجتمع كله لأن هذا حريتها الشخصية وأنها قد أخذت الموافقة، أمعنت فى الحديث عن الجنس وأسراره وأسرا جسد الرجل..لم تعترف (فايزة) بأنها تهتكت ولكن كل العيون كانت تتهمها بالتهتك وأنها قد أخذت تجرب الجنس فعلاً.. لم تتهمها

ولكن كانت الحقيقة ظاهرة..

تعمق الحديث أكثر وهنا راحت (فايزة) تصول وتجول وتتحدث عن مفاتن جسد المرأة وكيف تبرزه وعن الأزياء والملابس الداخلية ثم فاجأتنا جميعاً عن الحديث عن (العادة السرية).. كانت مراحل الحديث متلاحقة وسريعة والحديث شيق وأنه عن المجهول وهو جسد الرجل وجسد المرأة وعن المتعة وعن ممارسة الجنس.

وأخيراً عن العادة السرية بين الرجال والنساء.. أسميت هذا اليوم (يوم القشعريرة).. كانت فايزة قد اغتالتنى وزرعت برأسى المتعة وفكرة أن العادة تأخذنا إلى الهدوء كالمخدر وأنها المنجى الوحيد من شر الرغبة الجنسية العارمة ورويداً رويداً راحت تبحث عن كيف تحدث فى شكل مثالى، وما هى إلا دقيقة حتى اكتشفت أننى كنت على وشك اكتشافها، ثم راحت توّصف عن المتعة الكبرى فى ارتيادها وادمانها، ثم هتفت (أنها الحل الوحيد) وهنا سألتها عن البكارة، فقالت لابد أن تؤدى بحرص حتى لا تحدث المصيبة.

الليلة كانت ليلة صراع، وشبح كلام فايزة، كان سحراً له شجون. كان عليّ أن اكتشف أسرار جسدى وكان عليّ أن أشترى كتاباً عن

الجسد وكان ينبغى أن أشاور أمى أو أن أذهب إلى رائدات العمل النسائى وقد أصبحت أعلمهن وأعلم الدرب إليهن منذ حوالى ستة أشهر فقط، ولكن الرغبة كانت حانقة وهكذا فى لمح البصر سحقتنى (القشعريرة).. كان ذلك اليوم هو أحد أيام شهر ديسمبر وهو يوم بلوغى الحقيقى.. ساعتها أدركت أننى لست عذراء ولكنى ما لبثت أن طردت هذه الفكرة من رأسى ولكن الطامة الكبرى أن العادة إقتلعتنى من جذورى هى الأخرى وأنها لم تكن الماء الذى يسكب على النار. بل كانت الخطوة الثانية على طريق انفجار الرغبة...

وهكذا بدأت أجد صعوبة فى تناولى الدراسة وتطلب منى ذلك مجهوداً كبيراً لأن الرغبة والعادة أصبحتا مرهقتين وأنهما استبدا بى حتى الإدمان. تطلب ذلك منى أن أعترف بالآتى أولا: أن الجنس هو حياتى وجوهرها وأن رغبتى الجنسية لا يمكن التنازل عنها ثانياً: أن العادة الجنسية أصبحت كالهيروين لا يمكن التنازل عنها هى الأخرى مع الحفاظ على البكارة لأنها جعلت منى أنثى ولأنها ساعدتنى على السيطرة على الرغبة ثالثاً: أن كل ذلك لن يسلمنى أبداً إلى الزنا أو التهتك سواء فى الملبس أو السلوكيات لأن كل شىء

تحت السيطرة، رابعاً أن شغلى الشاغل الآن هو البحث عن الرجل الناضج الذى لا يستهلكنى وهو الرجل الذى أتحدث معه عن كل شىء.. عن الحياة والحب والجنس والمال والأعمال.. أتحدث معه كشريك ناضج لا كمستهلك وأننى لم أجد هذا الرجل لأن هذا الرجل رجل تفصيل لهذا عليّ أن أحدد الهدف.

الرجل الناضج الذى لا يستهلكنى. إذا لم أجده فلسوف أصنعه، وإذا وجدته لن أتركه.. خامساً أن البحث عن الرجل يعنى البحث عن الحب وأن الحب شىء عظيم، سادساً: لابد بعد أن أجد الرجل وأجد معه الحب لابد أن يستمر الحب وينتهى الاستهلاك.. كانت هذه قرارات وكانت شخصيتى قوية ولا تزال مما مكننى أن أسيطر على الرغبة والعادة بالصلاة والقرآن ثم أتوجه إلى دراستى لأننى لن أسمح أبداً لأى عائق أن يحول بينى وبين تفوقى مما مكننى فى وقت قصير أن أسيطر على الموقف وأوقف نزيف الليالى المهدرة دون مذاكرة لاستبداد الرغبة وملحقاتها بى ولكن الموقف برمته أسلمنى إلى رغبة ملحة إلى أمنياتى العميقة فى أن التقى بفارس أحلامى، بذلك الرجل الناضج الذى يشعرنى بقوته ويأخذنى من

عالمى إلى عالمى وعالمه وأن يكون رشيداً لى لا مستهلكا لى.. كان عليّ أن أجد الرجل وأن أجاهد من أجل المذاكرة ولكن الذى حدث أن المذاكرة استمرت وأن كل بحثى عن الرجل قد تولى،ـ لماذا؟!! لأن كل من حولى من الشباب تافه.. سوالفه أهم عنده من مذاكرته.. كان النادى يضج بالشباب وكذا بعض مجموعات الدروس الخصوصية وكذا المعاكسين خاصة فى المسرة وكنت رهيبة متميزة فى منتهى المرح مما جعلنى أطلع على عدد كبير من الشباب ولكنهم كانوا جميعاً بلا رؤية أو رَوّية.. كنت قد اتخذت قراراً بأن أرجئ البحث عن الرجل المزعوم بعد الامتحانات ومع دخولى الجامعة وهذا ما جعلنى اتفرغ للمذاكرة ولبعض القراءات القليلة فى الكتب التى كنت قد اشتريتها من المكتبات وكل ذلك أوصلنى إلى حصيلة فكرية بسيطة ولكن لا بأس بها امتزجت مع شخصيتى المصممة والمخططة فى نسق واحد لتحولنى بالتدريج إلى شخصية قوية، وكانت الامتحانات والنجاح بتفوق والالتحاق بكلية الصيدلة. مرت أربعة سنوات وانا (محلك سر) كل شيء عادى الشباب لا يملك رؤية وظالم، فلم أجد الحب.. ولم أجد الرجل فاستسلمت إلى العادة

أأنس بها وقد ساعدتنى القراءة وبعض الاستشارات، (وفايزة) التى تركت التعليم لتلتحق بشارع الهرم كراقصة وكغانية فأصابت المال الوفير على الفور ولأنها تعرضت إلى أزمات عميقة مع المجتمع وبوليس الآداب ولكنها كانت قليلة الإرادة وأرادت أن تعتلى عرش المال وبأقل مجهود وبأسلوب يشبع نداء الجسد وقد كان بينى وبينها بعض الاتصالات، حتى جاء ذلك اليوم.. كان (مدحت) أحد الصحفيين الذين جاءوا الجامعة مع اندلاع المظاهرات التى تندد بالتعنت الصهيونى ضد السلام، وكان (مدحت) هو الرجل الذى خفق له قلبى.. كان شابا فى السادسة والعشرين من عمره ويعمل محرراً صغيراً بإحدى دور الصحف الكبيرة كان الموقف مؤسفاً وهو أن إسرائيل لا تريد السلام هكذا أدركنا جميعاً وكانت الانتفاضة مشتعلة وكان الشباب السياسى الذى التقيت بالقليل منهم فى أشد الحماسة للنيل من إسرائيل ولكن كان كل ذلك يذهب أدراج الرياح.. كانت المظاهرات عارمة وكانت التغطية الصحفية ممتازة وكان (مدحت* يصول ويجول ويسأل هنا وهناك.. لمحته أول مرة وهو يلقى بالسؤال إلى عميد الكلية الذى آثر أن يكون مع طُلاّبه

مع الأحداث وكان (مدحت) ثائراً وقد اتفق مع المصور على أن تكون الصور معبرة.. كنت أعلم أنه سيجيئ إليّ وكنت أعلم أن (مدحت) يحاول عمل شيءٍ ما.. كان يريد أن يحرك الماء الآسن فى الجامعة بأن ينقل إليها المعلومات الحقيقية من أجل تنقية رؤية الشباب وكان دائماً ما يقول (إن إسرائيل مغرورة) وأنها دولة صغيرة لن تلبث أن تلقى حتفها.. كنت أتابعه بعين المعجبة.. رأيته ثلاثة مرات وفى كل مرة كات يتوطد ثقة بقلبى.. وقررت أن يكون مدحت.. زوجى الحالى.. هو رجلى.. كان يبحث عن قيادات الطلاب وهنا أدركت أنه حتما صائر إليّ لأننى كنت فى يوم من الأيام عضوة فى اتحاد الطلاب ولكنى أدركت أننى لن أستطيع أن أفعل شيئاً بين الشباب الإسلامى والغير إسلامى فقد كان النزاع بينهما كبيراً وقد احترت بينهما فما كان إلا أن انضممت إلى أسرة وقد كنت أؤدى نشاطى معها من آن لآخر كنت أود أن أعيش حياتى فى هدوء.. المذاكرة.. العادة.. القراءة.. زيارة رائدات العمل النسائى فى مصر.. متابعة الصيدليات.. التوكيل الجديد لأبى حتى أنه قرر أن يؤسس لمصنع صغير فى المدن الجديدة.. من أجل ذلك فقد بعدت عن

اتحاد الطلاب وقررت أن أعيش حياتى بهدوء...

لهذا فقد أدركت أن (مدحت) سيجيئ إليّ فى يوم من الأيام.. كان مدحت متدفق الشباب.. فى ملامحه أمارات الرجولة ولونه القمحى أزاد صلابته صلابة.. خجول.. كبير فى سن الشباب.. أدركت فيه الحب منذ اللحظة الأولى حتى فاضت عيناى بالدموع.. (أنت.. أنت من انتظرتك سبع سنوات ولابد أن تكون لي) وجاء.. كان الحديث شيقاً عن كل شىء.. لم يعدنى بأن ينشر كلماتى لأن كل هذا من حملة صحيفة قد لا تنشر لأن كل شىء رهن الإجادة وأن هذه هى أولى الحملات الصحيفة له وأنه اختار الانتفاضة ومظاهرات الجامعة لأنه من هذا الجيل فى موقع الأخ الأكبر. إن الجيل يلزمه الكثير من أجل أن يكون فى موقع المسئولين المعنوية ورغم أن العالم قرية كونية ولكن حجم الاسرار مازال رهيباً.. وأنه رغم كل معوقات العالم الثالث إلا أنه عالم يفيض بالحيوية ولا ينقصه سوى الإمكانيات وأن العالم الثالث هو الذى يغذى العالم الأول إن جاز لنا التعبير أن نقول عنه العالم الأول وأن مصر لم تمت ولن تموت وأنها تبشر الآن بفيضان النيل مثل زويل ونجيب محفوظ والسادات وهم

آل نوبل ولكن مازال بها العقاد وطه حسين وأحمد شوقى ونزار قبانى وفاروق جويدة.. وأن إمارة الشعر لابد أن تعود وأن الوجدان العربى لم يمت بدليل مظاهرات الجامعة.. كان هذا الحديث كفيل بأن أبنى له تمثالاً، كان ثائراً، محبا لمصر، مترفعاً بالشرق، مفعماً بالأمل فى النهضة وكانت له رؤية سياسية مكنته من أن يكتب وأن يصول ويجول وقد كان مثله الأعلى فى الصحافة وبعض الفكر الأستاذ (محمد حسنين هيكل) وأنه حمل على (عبد الناصر) حملة شعواء اغضبتنى لأننى كنت أحب (عبد الناصر) ولكننى لم أكن ناصرية ولكننى كنت أعتقد أن (عبد الناصر) قد جاء فى الزمن الخطأ كما قرأت... وتوطدت الصلة بيننا... كان لابد لى أن أقفز فوق الزمن وحواجزه.. كان اليوم هو اليوم الأخير للحملة التى امتزجت مع مظاهرات التأييد للانتفاضة وانتهزت الفرصة لأعلم كل شىء عنه ووعدنى بأن يبرز صورتى واسمى ورأيى فى الحملة الصحفية وقد كان فيما بعد، وما هى إلا دقائق حتى تبادلنا العناوين وأرقام المسرة... علمت موقعه بالتحديد وعلمت أنه بإحدى الدور التى كنت قد زرتها فيما قبل بل وأزورها الآن وانتهزت الفرصة أكثر

لأقول له أننى صديقة الكاتبة فلانة وفلانة وأننى قارئة وهكذا توطدت بيننا الثقة... كان التعارف كاملاً. إذ عرف عنى كل شىء هو الآخر وحدد موقعى وموقع أبى وهكذا كانت الصورة واضحة.. لمحت الإعجاب فى عينيه.. دار بعينه عليّ فأصاب منى يصيب المستهلك من المرأة وقلت هذه هى عادة الرجل وساعتها شعرت بأن الحب قد أصابه على أقل درجات درجاته الأولى ولكن الفارق الاجتماعى بيننا كان هو الحاجز..

كان مدحت سليل الطبقة الوسطى.. يتيم إذ توفت أمه منذ عام وأبوه منذ ستة أعوام ويعيش بمفرده فى شقة العائلة فى مصر القديمة.. لم يكن اللقاء الأخير بالجامعة هو كل شىء فقد تعمدت الذهاب إلى دار الصحافة التى يعمل بها وشكرته بنفسى لأنه أبرز صورتى.. كان أن اتصلت به بمنزله وحددت معه موعد وقد كان اللقاء ثم أخذته إلى الكاتبة الكبيرة صديقتى منذ مرحلة ثانوى وكان لهذا الكثير من الامتنان منه إليّ فتوطدت الثقة وقد كان عليّ أن أخطط سريعاً كيف أحتفظ به كصديق، على الفور صارحته بذلك

فقد كنت على غير استعداد أن أفقده خاصة بعد أن ملأ عليّ حياتى.. وفى غضون شهر واحد أصبحنا أصدقاء وأخذنا نتبادل المكالمات وكان ذلك بنية عمل جديد له بالجامعة إذا اقتنعت. كان قد بقى شىء أخير ألا وهى صورته فما كان منى إلا أن صورتها من صورته فى الصفحة التى نشرت بها فى الصحيفة.. كان رجلاً لهذا فنظرية المستهلِك كانت ثائرة فى ذاتى خاصة أنه مؤهل - ككل رجل – لها لهذا فقد آثرت أن أوطد علاقتى به أولاً حتى نهاية الجامعة ثم أنطلق معه فى حوار فكرى ينم عن رغبة حارقة منى لأشاركه حياته كنت أود أن أذيب الحاجز الاجتماعى الصعب لأننى أدركت حبه لى ولكن (مدحت) كان عاقلاً وكان يدرك أننى حتى وإن أحببته فهذا لا يعنى أن يحبنى.. أدركت فى قلبه الميل لى وأدركت فى عقله التريث وأدركت فى عينيه أنه قد لقى إعجابى به ولكن فى النهاية لابد أن تتحكم فينا صعوبات الحياة.. الموقف كان صعباً وكان لابد أن أرتاده لأنه قرارى كان ببساطة أن أتزوجه لأننى أحببته ولأننى أستطيع الانتظار معه عام أو عامين من

أجل أن يبنى نفسه خاصة أنه فى نسق اجتماعى معقول، من اجل ذلك تصادقنا.. كانت شخصيتى آثرة كما قال لى وكنت أحاول أن اقرأ أكثر وأمده بموضوعات وبالفعل أمددته بحوالى خمسة موضوعات أخذ الموافقة على واحدة منها ألا وهى (سوق الدواء فى مصر)... فى هذه الفترة أراد أبى منى أن يطور مفهومى عن مهنة الصيدلة فإذا به يلحقنى كمندوبة دعاية فى شركة استثمارية كبرى.. قال لى (أن الصيدلة لم تعد إدارة الصيدلية، ورغم أن هذه الإدارة صعبة وتحتاج إلى متخصصة ولكن هناك فرع جديد فى العلم الصيدلانى لابد أن أسبر عقوده لأنه ينوى فتح وكالة للأدوية وهذا العلم هو علم الدعاية وأننى لابد أن أتعلم علم الدعاية...)

الدعاية كانت عالماً كبيراً عظيماً.. اقتنعت بها جداً واقتنعت أننى من خلالها ومن خلال تدريبى السابق لمدة عشرة سنوات فى الصيدليات أستطيع أن أدير شركة أبى الصغيرة كمساعدة له بعد تمام التدريب فى إحدى الشركات كمندوبة دعاية.. المهنة كانت شاقة ولكنها التقت بسجيتى وهى أننى سناء الرهيبة

التى ما أن تصمم على شىء حتى لابد أن تحققه.. وكان هذا هو التحدى الثانى بعد حب (مدحت).. بذلت مجهوداً خارقاً ولكن روحى التصميمية وتاريخى الطويل فى القراءة ساعدانى على تحمل المسئولية وبالفعل أصبحت مسئولة عن (٧٢٥) من مبيعات إحدى شركات الأدوية فى القاهرة الكبرى.. اشتريت خريطة للقاهرة الكبرى ونظمت عملى أمدتنى الشركة بعدة دورات تدريبية حتى استطعت أن أتمكن من المهنة ومن البيع.. كان جوهر المهنة هو القدرة على الإقناع... السوق به عدة بدائل للدواء الواحد ومندوب الدعاية الناجح هو الذى يحمل الطبيب أن يكتب دواءه هو لا دواء البديل وهذا يتطلب أولاً أن يكسر الحاجز النفسى بينه وبين الطبيب وأن يكوّن بينه وبينه علاقة احترام تتحول لى صداقة وعندما ترتقى هذه العلاقة إلى علاقة صداقة حميمة ستصير المهمة سهلة وهى أن الطبيب سوف يكتب فى (الروشتة) دواءه من أجل العلاقة الشخصية وهذا هو قمة النجاح.. وكما قلت كانت طبيعتى تلتقى مع المهنة واستطعت فى سَتة شهور أن أحقق (١٢٥ ٪) من المبيعات حتى

فى المناقصات داخل المستشفيات وهكذا كان (اسمى) فى العلا.. ولكن كل ذلك لم يشفع لدى (مدحت)، مدحت كان عنيداً.. كان يعتقد أن الحاجز عالياً وأنه لن يستطيع أن يقفز فوقه.. حدثته عن الصداقة والدواء والصحافة والحب.. عن الحديث عن الحب وعن الفوارق الاجتماعية ولكن (مدحت) كان يملك الجواب عند كل سؤال.. لم ابتزل منزلى ولم تكن اللقاءات التى تجمعنا لقاءات غرام بل لقاءات صديق بصديقه كلما تيسرت الظروف.

حاولت معه فى كل الاتجاهات ولكن (سناء) تعترف بفشلها... وكانت الحالة واضحة أنه أحبنى ولكن رؤيته واحترامه لنفسه ومكانته الاجتماعية وفهمه للعالم كل ذلك جعله يدرك أن الحب فى غير موعده وأنه يتعين عليه أن يحبنى بعد عامين او ثلاثة أو ربما أربعة وهكذا دب اليأس فى رجلى فرحت إلى صورته أمزقها وإلى العادة أرتشف منها متعتى ما يجعلنى أنسى بها كل شىء وكانت هذه هى الهزيمة الأولى لى فى الحياة..

سنى لم يكن يسمح بأن أظل بلا خطوبة ورغم أننى كنت أستطيع الانتظار ولكن يأسى المطبق من (مدحت) جعلنى أوافق

على الخطوبة من (سامي) كان هو اسمه.. كان كل شيء رغماً عنى إذ على ما يبدو أن أمى أسرّت إلى أبى أننى مضطربة وأننى ربما أحب فإذا أبى يشن هجوماً رهيباً على الحب دون زواج وفى الخطوة الثانية ظهرت عائلة من الجيران (المعارف) وفى غضون ستة أشهر كانت الخطوبة.. ذهبت بنفسى لاستثمار هذا النبأ فمهدت (لمدحت) الخبر فلاحظت زيغه ولكنه لم يبد لى رد الفعل الذى أتوقعه فكان هذا إيذاناً منى بأن أعتقد بأنه قد أزاح الحب ركناً يعيداً فى نفسه خاصة أنه جعل مشوار كفاحه كل شيء فى كفاحه فما أن كان منى إلا أن ذهبت بنفسى إليه وأنا تحت مطارق اليأس لأعطيه بطاقة الدعوة فقبلها وحضر بالفعل حفلة الخطوبة وأنا أكاد أبكى.

هو شهر واحد وقد قررت أن الخطبة لا يمكن أن تستمر لماذا ؟

لأن (سامي) كان من المستهلكين.. كان من صغار رجال الأعمال يخفى خلف عينيه نفساً إنتهازيه مكشوفة بالنسبة لى.. كان كل شيء لديه مال ومتاع.. أحبنى حباً جارفاً أدركته من نظره العين ولمسة اليد ومحاولات التقبيل ولكن الحب كان من

وجهة نظره هو الاستعلاء.. أدركت أننى أمام المستهلك الأكبر وأننى لن أستطيع أن أصمد أمامه خاصة أننى لست الأولى فى حياته وماله وشبابه وغروره سولوا له أنه الرجل الأول فى العالم وأنه القادر على فعل أى شىء مهما كان.. كان هناك فارقاً بين تصميمى وتصميمه يستند على المحددات ولكن تصميمه كان يستند على غروره حاولت أن أروضه فاستجاب فى سرعة أدركت منها أنه يحاول أن ينتهز الفرصة لترويضى خاصة أنه قد بات أن الهاجس الجنسى رهيب فى حياته..

حاولت أن أجعله قارئاً فقال إن هذه الآراء سخيفة؟!

حاولت أن أجعله يهتم بالسياسة فقال (أنا السياسة) حاولت أن أجعله لا يغتالنى ولكنه كان مصمما على الاغتيال حتى أنه حول الخطوبة إلى حرب.. صرت فى حياته هدفاً بعيد المنال فأصر عليه.. أصر أن يجعلنى أركع فأدركت منه أنه لن يستهلكنى فقط لا لسوف يستعبدنى.. حاورته ولكنه كان لى بالمرصاد ونصحنى أن أبتعد عن آراء الرائدات متهماً إياهن بأنهن رجالاً.

- تريد استعباد المرأة؟.

- المرأة لابد لها أن تقاد.

- الرحمة.. الحب.

- الرجل كله رحمة.. أنت متصلبة.. مغرورة.

هطلت أوصافه لى على أم رأسى كالسيول.. انفجر عندما حدثته عن حقوق المرأة وعن حقوق الإنسان أزدت:

- أنت تريد أن تستهلكنى أنت تريد جسداً.

- القراءة أزاغت بصرك وبصيرتك.

- أنت تصادر حديثى ولن أسمح لك بذلك..

المعركة بينى وبينه كانت معركة غرور بالنسبة إليه حتى أنه حاول أن يقبلنى غضباً فثورت وانهزتها فرصة وأعلنت الحرب عليه وما هى إلا أيام حتى قضت الخطوبة وعدت حرة... فى نفس اليوم طار الخبر إلى (مدحت) فلاحظت أن فى عينيه الفرحة خاصة أنه قد بدأ يتقدم فى مضماره وأصبح له إسماً بدأ يدوى فى أفق الصحافة والدراسة لم أكن أريد أن أعيش فى نفس الدائرة خاصة أن أهم مطلب من مطالب (سامي) كانت أن أترك عملى وبالفعل تركته من أجله فى حملة ترويضى الفاشلة له وهكذا تفرغت للمرة

obeikandl.com

الأخيرة (لمدحت)... كان يجب عليّ أن أدخل الحرب وأن أنهى المسألة.. كلمة الحب كان هو من يجب أن يقولها لا أنا كانت هذه هى أولى المحددات وكان ذلك هو السد الأساسى الذى أطالبه به.. حدسى أكد لى أن حبى مستقر فى أعماقه ولكننى لست على استعداد أن اصبر سنوات تشييد الذات فى دار الصحافة.. كان لابد من سنوات تشييد الذات فى دار الصحافة... كان لابد من إعلان الحب.. كان لابد من إعداد الخطة الفاصلة خاصة أن حبى له بلا حدود.. حب عميق أخذنى من كل الحياة إليه.. كان ثانى المحددات هو ألا تحول الخطة إلى تمزيقه عنى أى ابتعاده عنى. كانت حياتى العامة مستقرة كمساعدة أبى فى وكالة الأدوية والمصنع الصغير وقد استفدت من عملى فى الصيدليات وفى شركة الدواء أيما استفادة كنت ناضجة وكان يجب عليّ أن أمارى نضجى فى الحياة وكان أبى فى الناحية الأخرى يريد أن ينسينى الخطبة التى أرغمونى عليها فأخذنى إلى حياة العمل.

ظللت أفكر أسابيع وقد هدتنى كل الأفكار إلى عدة أشياء أولاً.. أنه لابد من شيء قوى يزلزله، ثانياً: لابد أن يكون هذا الشيء

متعلق بالقوة الدافعة للحب ألا وهو الجنس، ثالثاً لابد أن يكون هناك قوة دافعة للجنس أى إغراء.. كانت هذه هى المحددات السرية حتى الآن التى قد حددتها من أجل تذويب جبل الجليد وقد قادتنى كل الظروف إلى (فايزة) اللعوب.. الخطة كانت بسيطة فى جوهرها هى الإثارة الجنسية إلى أقصى درجة ثم الظهور أمامه بمنظر مغرى يجعله يفكر مليا فى النزول إلى الأمر الواقع وطلب الزواج منى لأن الرغبة الجنسية الرهيبة وظهورى أمامه فى منظر مغرى كان يحركان الشوق الأصلى أى الحب ليتحول جبل الجليد إلى شعلة نار ما تلبث أن تُقاد إلى نارى فيتم الوصال.. وكانت خطتى واضحة مع (فايزة) التى طلبت منى (خمسة آلاف) من الجنيهات فى مقابل أن تحوله إلى جمر، وقد ساعدتنى كثيراً فى الكثير من التفاصيل وفى النهاية أوقعتنى وقالت لى (أنت لا تريدين فعل ذلك كمقلب ولكن لأنك تحبينه وأن سرك فى بئر عميق لأنك لم تطلبى منى أن أضاجعه.. أنت تريدين تثويره جنسياً وهذه صنعتى من أجل أن يذهب إليك راكعاً.. تريدين إنضاج الطبخة.

لم أستطع المقاومة تحت تأثير مطارق كلماتها وفى نفس الوقت

خفت أن أكذب أكثر فتنفر منى.. صارحتها بأن هذا جزء من الحقيقة وكشفت لها أجزاء من خطتى فوافقت ولكنها قالت أن هناك جزءاً تكميلياً آخر وهو أنها لابد أن تظهر فى حياته فالمعاكسة التليفونية فقط لا تكفى.. (فايزة) وضعت خطتها فى نصف ساعة وكانت كالآتى:

أولاً الظهور كراقصة فى حياته من متطلق الصدفة خاصة أنها تعلم عدة شخصيات فى دار الصحافة التى يعمل بها ثانياً مراودته عن نفسه وهى تعلم أنه سيرفض ذلك بكل ديبلوماسية.. ثالثاً الهجوم عليه بالمسرة خاصة أنها ستجبره أن تجعله يكتب موضوعاً عنها. رابعاً: المسرة لأنها تنعش الخيال خامساً: الجنس وكان هذا هو البند الأخير والجنس هنا سيشمل نوع الإثارة الشديدة وبما أننى رفضت تماماً مجرد لمسة فقد كانت فكرة (فايزة) رهيبة وهى أنها ستهديه فيلم جنسى أى أنها ستدخل النية وهكذا تضمن إشارته إليه وفى هذه اللحظة يتم إنضاج (الطبخة) هذا هو الإنفاق ومن هذا المنْطَلق ذاته الخمسة آلاف تحولت فى لمح البصر إلى سبعة ؟!

كنت حريصة على ألا يلمسها وأخذت وعوداً كثيرة من (فايزة)

على ذلك وبما أننى لا أثق بها فقد قررت أن أكون عن كثب من طوال المعركة التى ستظل شهراً كاملاً. وقد حددت كل شىء حتى الأزياء لها ولى.. وحددت ساعة الصفر.. كان (مدحت) فى البداية فى تماسك ولكن بعد أسبوع لاحظت أنه فى غير إتزان ولاحظت أن عيناه تدور لتلثم جسدى كله.. كانت ضربة فى الصميم أحدثت انقلاباً رهيباً فى حياته فقد كان عذريّ الطباع بعيداً عن كل المحرمات وها هى (فايزة) اللعوب تحيل حياته إلى جحيم وتتهمه بأنه مراهق فاشل وأنه لا يعرف معنى الحب. أنه لا يعلم أصل العلاقة بين المرأة والرجل وأنها تشكك فى أنه قد بلغ أساساً ؟؟!

كانت الفقرة الأخيرة مهينة جداً ولكنى وافقت عليها إذ لابد من إهانة لضمان إثارته حتى الجنون.. بالطبع ثار عليها واتهمها بكل ما يمكن أن تتهم اللعوب ففوجئ أنها تقول أن كل هذا لا شىء وأنها تتمنى اللحظة التى تصارحه بكل شىء عن انحرافها كصحفى وكرجل ولكنه أبى فقالت له أنها ستداهمه فى خلال الليالى القادمة.. كان هذا هو الذنب الذى تحدثت عنه من قبل.. الشريط الجنسى.. كانت مكتبتها عامرة ببعض من الشرائط الجنسية فاختارت شريطا

وبمزحة شيطانية قالت لى: لابد أن تريه أنت الأخرى مانعت فى بداية الأمر ولكن الأمر لى كان كبيراً.. تركت لى الشقة كى أرى الشريط لأنها تحترم خجلى فهالنى بما رأيت وقررت أننى منذ هذه اللحظة (لم أعد عذراء) كان هذا هو الجنس أخيراً.. سمعت عنه الكثير وقرأت عنه الكثير ها هو جسد الرجل وها هو جسد المرأة وها هو الجماع وهذا هو الشذوذ ,,, كنت أريد أن أثيره حتى الجنون ولكن السهم أصابنى قبله فصرت لا أرتوى من العادة ودب فى كيانى فكراً جديداً (أنه لابد من الزواج) كان هذا هو التدريج الثالث فى تدريج انفجار رغبتى ولكنه كان الأخير حتى الآن فكرت أن أذهب إلى (مدحت) وأرتمى فى أحضانه.. أردت أن أخلع ملابسى وأغوص معه فى شبق مخيف مهما حدث ولكن عفتى منعتنى من ذلك.. كانت رغبة فتحولت إلى شبق وكان حباً فتحول إلى الحب وكانت عذرية فتحولت إلى اللاعذرية وكانت خطة موقوتة فتحولت إلى قنبلة موقوته – كان عقلى يعمل فى سرعة وتساءلت ماذا سيفعل عندما يرى ذلك ؟ ولكن اللعوب قالت لا يوجد رجل لم يرضيه فيلماً جنسياً وأن هذا من البديهيات لهذا لابد أن تكون مجموعة من

الشرائط ولابد أن تنفرد به. كنت أعارض هذا التكتيك الأخير ولكنى بعد أن تحولت إلى جمار الرغبة وافقت. ذهبت اللعوب إليه فى ليلة سوداء. وفى النهار عندما رأيته فتأكد لى ظنى وهو على شفا جرف هار.. كانت الكلمات تخرج بصعوبة وعيناه زائغتان وذهنه مشتت وأفكاره غير متواصلة فأدركت أنه قد ضعف ورأى الشرائط بل أنه أخذ أجازة لمدة يومين لاحقته بهما عبر المسرة ولكن رياح النصر كانت قد أتت فقد لمحت فى عينيه الرغبة الملحة تلك الرغبة التى لا تستهلك بل تتمنى عن حب عفيف.. أخذنا حديثنا عن الحب وعن المستقبل وعن النجاح الذى يتوقعه له.. كان خجولاً وهكذا كان عليّ فقط أن أطرق الباب وهكذا ولجت من طرف خفى أن تعمقت معه فى الحديث عن الحب وتجرأت وسألته (وهل أحببت من قبل) كان هذا التساؤل هو باكورة الأسئلة التى من خلالها بدأ شبح اللعوب يغرب عنه ليُستبدل بى.. كان قلبى مؤشرا حساساً وجهنى إلى التوقيت الذى يجب أن تذهب فيه اللعوب ليحل محلها (سناء).. وفى لمح البصر قالها (أحبك) أذن فقد نجحت الخطة ولم أتركه حتى أعطانى أول قبلة عبر المسرة وكان بكائى للسعادة.

لم يعد من خطتى الكبرى سوى خطوتين وهى محاربة الاستهلاك.. الاستهلاك الأول استهلاك الحب والحياة وكان هذا شاغلى إلى ما قبل الزواج والثانى فى موعده وهو الاستهلاك الجنسى.. حاولت أن أحول حبنا إلى البذل.. الحب هو أن يحاول كل طرف أن يفدى الآخر وأن يجعله هو متقدماً عليه وقد أحببت (مدحت) لأنه الرجل العادل.. الرجل الذى لا يستهلك المرأة ولا يستهلك الآخرين غروراً ولا يستهلك الحب وقد كلفنى ذلك قراءة ثلاثين كتاباً حتى وقفت معه على خط واحد ثقافة فلم أتركه حتى تساوينا فى قلبه وصار ينظر لى لا كالحب فقط بل كإنسانة كاملة وهكذا أخذ يفكر لى وأفكر له فصار ما بيننا شعراً ناضجاً، هو يقدمنى عليه وأنا أقدمه على نفسى وهكذا تحققت المساواة، تلك المساواة التى لا تجىء عن طريق التكبر.. كنت أريد أن أفرد الحياة بيننا وأن تحتويها معاً وأشهد أنه لم يحاول أن يسيطر عليّ بل أراد أن ينمى شخصيتى فلا يسحقها وأن أترك له القيادة فى محلها لأن الرجل هو القائد دون تعصب. بقى شىء واحد فى حياتى وهو (العُمرة) التى سأقوم بها أنا وهو فى خلال أيام وبعد كتابة هذه

المذكرات.. هذا الشيء هو أننى أصبحت مدمنة لمشاهدة الأفلام الجنسية مما رسخ فى داخلى شعوراً بعدم العذرية والذنوب فى حق الله، وهذا ما عجّل إلى المعركة فى بيتى.. أدركت أننى عندما تقدم (مدحت) ليخطبنى أنه الحب وأننى لم أقل له شيئاً وأغاظ أبى أنه فقير ولكن أبى العصامى كان يقدر فيه الرجولة وبعد ستة أشهر وافق أبى ليتأكد من صدق نواياه وليتأكد من مصادره أنه يسير فى مستقبل ناصع إلى القمة فى نفس الوقت الذى وفّى فيه (مدحت) الوعد لأبى بأنه لمع أسمه فى ثلاثة تحقيقات متتالية اهتم بها الرأى العام.. أدرك أبى الحقيقة وهو الحب من أجل ذلك فقد وافق بل فسر لماذا سقطت الخطوبة السابقة ؟!! عشت مع مدحت أجل أيام العمر وأسست معه اللااستهلاك وترسيخ البذل من أجل حب دائم واتفقنا على حياة هادئة واعترف لى أخيراً بالحب منذ أول نظرة وهذا ما أضاف إليّ معرفة بقلوب الناس عندما طابقت حبه بما قد فكرت فيه من قبل فصدق حدسى وهكذا أسلمتنا الحياة إلى الزواج ومع الزواج لابد أن يكون الترويض الأخير.

كانت ليلة الزفاف وهى الليلة التى ودعت فيها الأفلام الجنسية

والعادة لأروح إلى عالم الارتواء أو العالم الحقيقى كما كانت تسميته اللعوب ومع الليلة كان الترويض الأخير.. لم أنس يوماً أننى (سناء) الرهيبة ولم أنس أن الرجل مغرور حتى لو كان محباً ولم أنس أننى لم أكن مُستهلكة أبد الدهر فهذا محال ولم أنس أن الأمور إذا ما انفلتت فلسوف يكون الفراش محلاً للنزال الغرورى ولسوف يكون البقاء فيه للأقوى والأقوى هنا سيكون، سيكون للاستهلاك أى للشيطان والفراق.. كان عليّ أن أمهد لحياة جنسية سعيدة وأن أصارحه برغبتى (البتول) دون ذكر للعادة أو لخطتى فى الإيقاع به لتدمير خجله وظروفه أو للأفلام الجنسية التى أعتبرها سندى الأكبر وبالفعل أعددت خطة امتدت كل شهر العسل الذى قضيته فى الإسكندرية وفى نهاية الشهر كان كل شىء على ما يرام كان قد أدرك مصارحتى له بالرغبة فى معاشرته مثل رغبته تماماً فاندهش لذلك ولكنى فسرت له أن هذا ليس من قبيل الجرأة ولكننا أرجعنا ذلك لأن هذه هى الحقيقة وكم أسلمت هذه الحقيقة إلى المصارحة الجنسية مما وفر لنا حياة جنسية سعيدة ولكن هذا لا يكفى لأن المسألة كانت أعمق من كل ذلك، كان الأمر هو عدم الاستهلاك

لأن جسدى لابد أن يحترم وقد وافق على ذلك وهكذا فقد أصبح فراشنا فراشاً لفردين لا لفرد واحد واتفقنا على كل أسس الحياة الجنسية بكل صراحة ووضوح مما أكسب علاقتنا البذل والطهارة.. هكذا استطعت أن أروض الرجل وأن اتفادى معه الاستهلاك.. أن أتفادى معه أن تتحول الحياة البسيطة إلى مضمار بين الرجل والمرأة وهكذا راحت أيامنا الحلوة كلها يقدمنى على نفسه وأقدمه على نفسى حتى صار ما بيننا ليس حبا ولكنه الحب. بقى شيئاً أخير أمام (سناء) الرهيبة هو التوبة عن كل شىء وبخاصة الأفلام الجنسية من أجل ذلك فلسوف نتوجه إلى عمرتينا فى خلال أيام.. انتهت مذكراتى

السبت ١/ ٣ / ٢٠٠٣

openkandl.com

(٢)

بيسو

(كل شيء ممل) هكذا تمتمت وهى ترشف الرشفة الأخيرة من شايها الثانى على التوالى - كانت فى انتظار سكان البناية (اتحاد الملاك) وقد تأخر الجمع ساعة.. لم يكن لها فى هذه المشكلة لا ناقة ولا جمل والمشكلة تقع فى أن أهالى البناية تذمروا لأن صاحب العمارة حوّل الجراج إلى مخزن.. كل ذلك كان مخالفاً للقانون ولكنه استطاع التحايل.. البناية قديمة مساحتها أكثر من مائة وخمسين متراً وإلغاء الجراج وتعلية البناية نفسها أمر كثير على اتحاد الملاك.. (كوثر) وهذا هو اسمها لم تكن تملك سيارة وكانت قد انتقلت مع زوجها إلى البناية منذ عشرين عاماً ومنذ ذلك الوقت وكل شيء على ما يرام إلا أن الرجل طمع فأطاح بوقار البناية لتعلو دورين وألغى الجراح ليحوله إلى مخزن ثارت ثائرتها ومعها كل اتحاد الملاك ورغم أنها لم تكن تملك سيارة إلا أنها أدركت أن القضية قضيتها واليوم يوم

obeikandl.com

الاجتماع النهائى للتوصل إلى وفد من اتحاد الملاك إلى صاحب البناية من أجل البحث لأن مخرج لأن إلغاء الجراج مأساة فى حد ذاتها.

كل اتحاد الملاك اختار (كوثر) لتكون مقر الاجتماع الأخير، كانت شقتها فى الدور الخامس من البانية ذات العشرة طوابق.

بدأ الاجتماع والكل فى حالة تذمر كلمة من هنا وهناك و(كوثر) تزيد الأمر ثورية وغضباً ومع الحوار كانت أحلى الحلويات تقدم عنوان كرم الضيافة.. الكل كان شديد الامتنان من مدام كوثر الأرملة التى توفى زوجها منذ ثلاثة أعوام.

(كوثر) كانت بؤرة احترام الجميع لأنها عودت كل من يزورها على بشاشة الوجه وكرم الضيافة الشديد، وكما بدأ الاجتماع انتهى وقد ألفوا وفداً من ثلاثة عناصر ليزوروا صاحب البناية غداً وقد انتهى كل ذلك إلى (اللاشىء) ففى تجهم قال لهم صاحب البناية (أفعل ما أشاء بملكي) وهكذا انتهت الزوبعة بلا نتائج ولكن (كوثر) استفادت من كل ما سبق ببعض الزيارات التى بدأت تسليها.. كوثر كانت فى الثانية والستين من عمرها (أرملة) أنجبت ولدين وبنت.. اجتماعياً لها آثار المعركة السابقة من الزيارات وبعد ذلك

وحدة قاتلة ؟!!! الأولاد منصرفون عنها والذكرى مع الزوج كانت سوداء لأنها كانت أتعس مخلوقات الله.. كان زوجها فظاً قاسياً حمدت الله على أنه انتقل إلى الرفيق الأعلى ليتركها فى حالها.

دارت بعينيها فى البوم صور العائلة بعد المكالمات التليفونية المعتادة منها إلى الأبناء.. كانت تتحاشى ذلك لأن الذكريات تأخذها إلى السنوات العجاف مع زوجها.. عمرها أهدر على مرأى من العالم وهذه الصور الآن ما هى إلا بواعث الحسرة على العمر الذى ذهب سدى بل ذهب إلى التعاسة.. لم يكن بينهما أدنى الحب أو المودة أو الرحمة وهى بحكمتها بنت جداراً رهيباً بين مشاكلها مع زوجها وبين أولادها فنشأوا في عزل عن هذه الخلافات أسوياء.. تذكرت أن أباها هو الآخر ظالم من نوع آخر فقد اغتال طموحها إذ أصر على ألا تكمل تعليمها لأن الأسرة محافظة وكانت متفوقة وقادرة ببساطة على اجتياز الجامعة ولكن ظلم الأب منعها من الاستمرار فى التعليم وهى لا تدرى حتى الآن مما كان يخاف الأب ؟!! من أجل ذلك فقد نشّأت ابنتها على التربية القويمة وأصرت على ألا تكون صاحبة نقصان عن الولدين ثم أصرت على أن تكون جامعية

وقد تخرجت من كلية الآداب قسم اللغة العربية وتعمل الآن مدرسة فى إحدى المدارس الثانوية.

كانت تتحاشى هذه الصورة - صورة زفافها - تعتبرها أسود صورة فى التاريخ.. مع هذه المناسبة اعتبرت أنها قد بدأت فى الغربة.. تتذكر هذا اليوم جيداً. يوم أن جاء (فؤاد) إلى الدار فى صحبة أبيها.. منذ مجىء زوجها فؤاد إلى دارها إلا وقد بدأت الغربة. كان يوم من أيام شهر أغسطس الحار وفيه تأسست أكبر رحلة غربة فى التاريخ.. غربة عن الحياة.. الأمر لم يكن زواجاً بل كان تخلصاً منها.. كانت تعيش أجمل أيام الصبا فى معزل عن الأب وقد استطاعت أن تشغل وقتها فى المجلات والصحف وفى توطيد العلاقات العائلية مع أمها ولكنها لم تكن تعلم أن أمها كانت تبحث لها عن عريس ولكن المفاجأة كانت قد حدثت وبدأ قلبها الصغير ينبض بالحب.. كان عماد ابن عمها.. كان ذلك قبل زواجها من فؤاد بعامين.. لم تدرك فى وقتها أن هذا هو الحب لأنها كانت تحت الحصار ولم تكن تدرك فى المشاعر الإنسانية ما يؤهلها لأن تدرك أن هذا هو شعور الحب أم لا.. كانت هذه هى المرة الأولى التى ترى فيها عماد على غير هيئته

كان مهندم الثياب حليق عيناه السوداوان بهما بريق آخاذ.. كانت تراه من قبل على غير هذه الهيئة فماذا حدث ؟!

كانت نظرة العين كما هى ولكنها الآن مزدانة ببريق متلهف.

كانت لمسة اليد كما هى ولكن اليد الآن ساخنة بعد ستة شهور أدركت أن عماد يهتم بها.. ولكن الأهم أنها أصبحت هى الأخرى مهتمة به.. الشوق بالشوق، النظرة بالنظرة والاهتمام بالاهتمام.. ساعتها دخل السرور فى قلب أمها لأن عماد كان ميسور الحال وفى السنة الأخيرة من بكالريوس التجارة وكل شىء ممهد فى طريق الزيجة.. الأم لمحت الأبنة فى واد آخر فلمحت للأبنة أن ثمة شيئاً بينها وبين عماد فأنكرت الإبنة كوثر ولكن الأم الصديقة أفهمتها أن الحب ممنوع وأن الزواج هو الطريق الوحيد للتعارف.. كان هذا موقف الأم ولكن العشاق لهم رأى آخر فقد استطاع (عماد) أن يقفز فوق الحواجز بالتخطيط مع أخته كانت زيارة عادية إلى ابن العم عماد وفى لمح البصر استطاعت أخته. أن تجالس الأم وتحتويها وتأخذها بعيداً عن كوثر وهنا هاجم عماد كان الحصار شديداً و الفرصة ضعيفة والإبنة تعلم كل شىء وتشعر بالخطر، كان مجرد

اقتراب عماد منها خطر داهم وكان عماد يدرك ذلك ولكنه صرّح منذ البداية أن غرضه شريف وأنه فقط يريد أن يعرف حقيقة مشاعرها فراحت تتهرب..

أنت تعلمين أننى أحبك كانت هذه أجمل جملة سمعتها فى حياتها.. أنت تعلمين أننى أحبك، ولعل هذه الجملة هى الجملة التى صبّرتها سنواتها التعيسة وكيف لا وقد عاشت فى رحاب الحب سنتين وعاشت فى رحاب ذكراه أكثر من أربعة عقود ؟!!

كانت تتذكر جيداً ردها – كان رداً مقتضباً – أومأت برأسها علامة الموافقة ولكن عماد أصر أن تتحدث وبعد محاولة لطيفة قالتها (نعم).. ومنذ هذه اللحظة بدأت كوثر تتغير فقد أصبحت أكثر نضارة وسعادة (ما أجمل الأيام وما أجمل يوم الجمعة الذى تصطحبنى أمى فيه إلى عائلة عمى لأرى عماد.. إذ يترك كل الدنيا حتى الامتحانات من اجل أن يرانى.. كانت تخفى هذا الحب كسر دفين ولكن الذى لا يعرفه العاشقون أن الحب لا يختفى فنظرة العين تفضح ولمسة اليد تصرخ وكل كلمة تعلن، وعندما أدركت الأم صارحت الأبنة وردت كوثر بالإيجاب فما أن كان من الأم إلا

أن راح لونها وذعرت ورددت (أنت تعلمين أن الحب ممنوع ؟! كم قلت لك وحذرتك، واندهشت الإبنة – كان الحب شريفاً عفيفاً ولم يكن ثمّ أخطاء – كانت الأبنة تدرك مدى ظلم الأب وأنه لطالما حدثها عن هذا الشيء الذى يسمى الحب وأن الأصل هو الزواج فقط وتحت السقف الواحد يكون الحب.. اضطرت الأم أن تقول للأب.. كوثر تتذكر هذه الأيام جيداً وتسميها مقدمات الغربة كان كل شيء هادئاً، صامتاً، الأم فى رعب – العلقات السخنة تدوى لكل الأخوة – عواصف الكلام تأتى من الأب إليها لأتفه الأسباب – أدركت الخطر وأجابتها أمها أن أباها قد علم وأنها هى التى أخبرته لأنه لو علم من مصدر آخر ستكون الفاجعة التى ربما يقتلها من خلالها...

كانت تود تحذير عماد خاصة أن عمها وأسرتها كانوا قد بدأوا يزورونهم ولكن المحذور قد حدث كان الأب شديد الجفاء مع عماد.. الأب كان يعتقد أن عماد قد خان الأمانة لأنه لا يعترف بالحب.. ولأول مرة يحجبها الأب عن أسرة أخيه علمت كوثر فيما بعد أن الأب كان يعمل جاهداً من أجل أن تتزوج كوثر ومن عماد..

وكان هذا هو رد الأب.. أعلن الأب أن الطالب لا يحق له أن يتزوج وقد كان عماد على وشك إنهاء دراسته وقد كان ذلك إعلاناً للحرب على مجرد نية أخيه التفكير فى أين يفاتحه فى الزواج من (كوثر) ولكن على ما يبدو وكما فهمت كوثر فيما بعد أن العم (وجيه) لم يكن يعلم هو الآخر وأن عماد آثر الصمت لأنه يعلم أن عمه عدو الحب وأنه متكبر متجبر وأنه ظالم.. كان (عماد) يستشعر الخطر خاصة بعد هجوم سالم أبى كوثر عليه مما أثار دهشة (وجيه) وقد بات من الواضح أن سالم يتربص بعماد. آثر عماد الصمت والانسحاب إلى الحين وعندما حدث أطلقت الأم إشاعة أن الأسرة لا تنوى تزويج كوثر الآن لأنها مازالت صغيرة.. كانت هذه هى خطة الأب.. كسب الوقت.. ولكنه كان فى نفس الوقت يريد أن يقتص من هذا الحب بأن يعدمه بأن تتزوج كوثر باختياره.. ظلت المأساة عاماً كاملاً بينما عماد جاد فى تكوين مستقبله فإذا به يشترك مع أبيه فى تجارته ويكّون له فصيلاً فى الحياة خاصا به..

تزامن ذلك مع تقليل الزيارات العائلية إلى الحد الأدنى وعدم رؤية عماد لكوثر أبداً اللهم إلا اللمم، وهكذا هوى العشاق إلى

الجحيم فما كان من بدا لأن عماد أخذ يجوب شوارع القاهرة هائماً حول البيت المحبوب وفى لمح البصر رأته من كانت على شاكلته.. كان الأمر خطيراً والمحبان أدركا بعضهما البعض وقد تعاهدا عن بعد ألا يفترقا وقد سر عماد أن تراه كوثر فما أن كان منه إلا أنه أشار إليها كل يوم فى نفس الموعد. أدركت (كوثر) أن عماد قد فعل كل ما عليه وأنه قد أدى دوره وأنه لابد أن تكون الثانية بل لابد أن تشرح له الأمور.. لم تكن كوثر جبانة ولكنها كانت خائفة من جبروت الأب ورغم كل المخاطر اتخذت القرار.. فى هذا اليوم.. الذى لا يمكن أن تنساه.. أشارت إلى عماد أنها سوف تراه غداً فى الشارع ولكنه لم يفهم فما أن كان منها إلا أن كتبت ذلك فى ورقة صغيرة أوصته أن يمزقها بعد القراءة، كان أبوها يغط فى نومه والأم فى المطبخ وإذا بها تُسقط بعض الغسيل وتنزل من أجل أن تعود به إلى البيت ودون استئذان.. كان (عماد) يقف كالمغشى عليه لأن (سالم) أن أدركه فإنما هو قاتله لابد ولكن الموقف لم يكن يحتمل الإرجاء.. أمسك يديها

- وحشتينى...

- لا وقت
- ماذا حدث؟
- أبى علم..
- هل صحيح أنك لن تتزوجنى ؟
- أشعر بالخطر
- أبوك ظالم
- أبى لا يعرف الحب..
- ما الحل..
- لا تتركنى.. أنا لا أعلم ماذا يدبره لى أبى ولكن الفرصة معدومة الآن
- الأمور تتعقد. من قال له؟
- لا أعرف من الذى عرَّفه بالحب ولكن أمى هى التى قالت له.
- لن أتركك
- أنا على العهد
- هذا ما أريده منك - إن تقدم لك أحد أرفضيه.
- أنا ضعيفة
- كونى على العهد وأنا سأتصرف من خلال أبى

obeikandl.com

- أنا أحسدك على عمى وجيه
- لن أتركك يا كوثر
- الوداع
-الوداع

كان هذا هو الموعد الأول والأخير بينها وبين عماد وهو الموعد الذى تمنت أن لو طال أبد الدهر ولكن الأمور تعقدت وما هو إلا ثلاثة أشهر وجاء أبوها (بفؤاد) ليكون نسخة كربونية بل أسوء من أبيها..

كان هذا هو يوم الغربة وبداية الصواعق كان فؤاد جامداً وقد بدى عليه أنه لا يملك العواطف ولا يملك القدرة على التعبير عن العواطف أتى أمر فؤاد كأنه قرار لا رجعة فيه وأن رأيها صورى.

حاولت الأم الفكاك ولكن هذا لم يأت بجدية وهنا كان لابد أن يكون لها دوراً، لم تنس كوثر هذا اليوم، كان بعد يوم الغربة بأسبوع عندما أصر الأب على الزواج ولكن الإبنة ثابتة فقد كان ينبغى لها أن تدافع عن نفسها وعن حبها - كان الانفجار – لم يتوقع الأب كل هذا العنف وأعتبر ابنته فى زمام الفاسقات قالت له أنه ظالم، وأنه حرمها من الحياة – حرمها من التعليم وأنه قد جعل حياتها جحيماً

obeikandi.com

- كانت تنتظر منه الرحمة ولكن الأب قال لا.. لا رحمة.. لا حنان.. لا شفقة.. قالت أنها ترفض الحياة مثل أمها مجرد مطية (قالتها ؟!) وأن عواطفها لابد أن تأخذ فى الحسبان. قالت له أنا أحب.. قالت له (لا تهدر حبي) ولكن الصفعات توالت (أنا أحب عماد) وهو يحبني) تعاهدنا على الزواج.. لا تقتل الحب.. لا تكن ظالماً...

ولكن الصفعات توالت ورحمة الأب انعدمت. صامت عن الطعام حتى أدركها الطب ورفض الأب أن تذهب إلى المستشفى (موتى هنا...) (أنت فاسقة) (والحب فى الزواج...) (عماد خاننى...) (أنا لا أعترف بالحب) (لعب عيال) (أنت صغيرة... وهو صغير لا تكونى...) أخذ الأب يصرخ فى ثورة ولكن كان من الواضح أنه يتكلم عن لهجة قاسية تمكنت منه فقد كان فعلاً لا يعترف بالحب ولا يمارسه، وهنا قالت كوثر له عن يأس (أنت لا تعرف الحب).

يوم الغربة أتى الغربة كلها.. فرض الأب حصاراً رهيباً على (كوثر) وضربها أكثر من أربعة مرات وأجبرها إجباراً على الزواج من فؤاد. لم تبذل أية محاولة للتقرب من (فؤاد) فقد كانت بالكامل مع عماد، فكرت فى أن تصارح (فؤاد) بحقيقة الموقف ولكنها كانت

أضعف من أن تقول له إننى أحب غيرك.. وتم الزواج.

تتذكر الآن كم حاول (عماد) ولكن (كوثر) نفسها أرسلت إليه رسالة عن طريق أخته (أنه لا فائدة) كان الأب قد وصل إلى قمة غروره وتسلطه وكانت الأبنة فى ذاك الوقت فى قمة الإعياء من فرط القسوة والضرب وقد كان القرار الأخير أن الأب قد قرر أن يقاطع أخاه (وجيه) إذا رفضت أكثر من ذلك وأقسم بالله بأن (عماد) لن يكون لها سواء أكان حيا أم ميتا.. أخذها يوم الغربة إلى أيام الغربة إلى الغربة الكاملة... كان يوم زفافها يوم الاغتيال ساعتها رأت ضحكة صفراء كئيبة وكلمة مجاملة (أنا أحبك) ثم كان التقطيع.. كان الزواج هادئاً لأن الضحية كانت مستكينة ولأن ثمة شيئاً أدركته على الفور أن (فؤاد) عالياً وأن أى محاولة منها لإنقاذ شخصيتها ستنتهى بها نهاية مأساوية.. كانت العلاقة الأساسية بينهما هى علاقة الاستعلاء من (فؤاد) و(الرضوخ) من جانبها.. كان كل شىء هادئاً حتى الإنجاب الأول (فؤاد) أيضاً وكانت (كوثر) تتحاشى التداخل معه فى أى أمر بعد أن أدركت استبداده ولكن هذا الاستبداد أصبح الغاء لشخصيتها.. كانت مهزومة..

الحب ضاع والبديل سجن عميق وجسد عارى واستهلاك الحياة يمضى قدماً وهى أيام لا أكثر ولا أقل ويموت الإنسان وأخذت تتحدث عن الموت وهى فى ريعان الشباب مما أثار حفيظة فؤاد ولكنها طمأنته أن هذا من قبيل الإيمان لا اليأس.. لقد تنازلت عن حياتها وعن اختيارها لأنها كانت مهزومة هزمت عدم مرات أولاً عندما نشأت فى أسرة ظالمة وثانياً عندما نأوا بها عن التعليم وثالثاً عندما أعدموها بأن أعدموا الحب ومنعوه ورابعاً عندما حولوها إلى جسد فى سجن من أربعة جدران وخامساً عندما أجبروها أن تكون رحماً بلا قلب.. مجرد رحم.. كان فى حياتها يوم الغربة والاغتيال ولكن هذا اليوم يوم (الكارثة) دخل إليها (فؤاد) ثائراً غاضباً عندما استفهمت من سر غضبه أجابها بأن فى حياتها سر.. استمر الحوار دقائق حتى فاجأها بأن ابن عمها عماد سيتزوج الأسبوع القادم وأنه اكتشف أنه الحبيب المجهول السابق.. دارت رحى الحديث إلى كل النواحى ونصب مكتب تحقيق فى حجرة النوم وهنا أدركت الحقيقة أدركت أن الخبر قد تسرب وأنه تأكد من ذلك وكان ينبغى أن يتأكد من ذلك لأنها

فاترة معه وأنه كان ينبغى عليه أن يعلم قبل ذلك منذ الخطوبة المبتورة والتى استمرت شهرين فقط ولكن كان عليها أن تدافع عن شرفها لأن فؤاد كان يتهم اتهام الشرف وليس اتهام الحب، ولأنه كان لا يفرق بين الحب الشريف وبين التفريط وهكذا كان لابد أن تمثل دور التى لم تحبه.. أدركت الخطر وهو أن (فؤاد) المتفرعن لن يسمح بالحب وأنه لن يطلقها حتى إذا ما اعترفت له بالحب وأنه كان قد اتخذ قراراً نهائياً بعدم الطلاق لإحساسه العميق بالإهانة كان فؤاد فى دوامة لأن الخبر كان منطبقاً على حالة أطلق هو عليها المحكوم عليها بالإعدام أى حالتها وعلى ما يبدو انه وصل إلى الخبر عن طريق من هو موثوق به، فماذا يمكن أن تفعل؟!

انكرت وقاومت ببسالة وعلى ما يبدو أن هذا قد فت فى عضده فقال (لا يوجد شىء سر.. الحب مفضوح وأنا عرفت كل شىء)

كانت الجملة شديدة الوقع عليه حاول منها أن يعرف هل أبوها كان يعلم أم لا.. ولكنها أصرت على أن هذا كله وهم وجنون.. بل انتهزت الفرصة لتكيل له الاتهامات فإذا بها تقول له

أنت فاقد القدرة على الحب أنت لا تحب لأنك تعتبره ضعفاً كالت له الاتهامات ولكنه على ما يبدو قد أدرك الحقيقة وهى أنها على الأقل كانت تكن وداً إلى عماد وكان فى ذلك الضربة القاصمة لذلك الشىء الزهيد من المودة التى هى أصلاً بينهما... دخل الشك قلبه ولكن الشك تحول إلى جحيم لأنه أدرك بالفعل كما قالت أنه فاقد القدرة على أن يحبها حباً عادياً وفاقد القدرة على أن يجعلها تحبه فما أن كان منه إلا أن انتهز الفرصة ليبدل اللمم القليل من المودة إلى إذلال مبرمج متخذا الشك دليلاً فى هجمته الشعواء عليها..

كانت المعاملة شديدة القسوة وجاهرها بأنه (لا يوجد طلاق فى العائلة) (وأن هذا هو قدرها الرائع) (وأن العيب فيها لأنها هى التى لا تعرف كيف تجعله يحبها)، كان ذلك اليوم هو يوم السواد لأن العلاقة أصبحت علاقة استعلاء كامل مع الشك فى كل الماضى ومع اليأس فى الحاضر والمستقبل، وقد زاد السواد قتامة حينما أدركت أن عماد عازم فى زواجه فلماذا أذن تطلب الطلاق؟! وهكذا حكمت كوثر على نفسها الحكم بالإعدام ونفذته بأسلوب جديد وهو الاستسلام حتى تتجنب حرباً رهيبة مع فؤاد المتفرعن وهكذا

عاشت وحيدة رغما عن الحياة الاجتماعية والأقارب والزوج والأولاد.

عاشت خمسة وثلاثين عاماً فى سجن، وقد أدركت منذ زمن طويل أن سجنها سيطول لأن (فؤاد) صحته قوية وأنه خال من الأمراض ولسوف يسرى عليه ما يسرى على الأمة كلها ليكون عمره بين الستين والسبعين وبالفعل مات فى الخامسة والستين ليخلف لها تركة كلها كراهية.. هى التى اختارت السجن لأن زواجها بعماد كان من قبيل المستحيل خاصة بعد زواجه من منيره من أجل ذلك فقد آثرت أن تعيش فى ظل رجل من أجل أولادها.. وقد تزوج الأبناء وعاشت فى سجن عميق هذه المرة دون حافز للحياة ولكنها كانت قد تطبعت بأمور السجون.

طار الخبر (سلمى) ماتت.. بكت كما يجب أن يكون البكاء سلمى كانت كمثل أختها.. كانت أخت عماد.. كانت مرسال الذى كان، استأذنت من إحدى الجلسات التى ماتزال تندد بصاحب البناية وذهبت إلى العزاء.. قابلته.. عرفته لأول وهلة.. كان كما هو ولكن الزمن قد أثر، شعره أتى عليه مشيباً.. كان عماد.. فى لمح البصر ورغم كل الأحزان كان انبعاث الذكريات.. لم تكن هذه هى

المرة الأولى التى تجمعهما نظرة واحدة بعد موت زوجها وزوجته.. انتظرا حتى ذهاب كل المعزيين.. تقابلا.. عزته فى موت أخته.. كان حزيناً ولكنه كان سعيداً.. لأن أولاده الأربعة ما يزالون يملأون عليه المكان والحياة ولأن زوجها الذى ساقها سوء العذاب قد مات.. كانت العيون تتلصص طريقاً إلى الماضى البعيد.. كم كان الحديث حلواً شيقاً رشيقاً كعادة الحديث معه وقد انتهى بأنه سوف يتصل بها من حين لآخر للاطمئنان عليها... انصرفا..

لم يكن هذا اللقاء القدرى ليمر دون دويّ، كلاهما فكرا نفس التفكير الرهيب لماذا لا يتزوجان..

اللقاء رغم أنه قد جاء فى وقت العزاء ورغم أنه كان سريعاً وسط كل الناس إلا أنه فجّر الاشتياق فوجئا بأن كل الماضى قد بعث.. الروح عادت.. الحياه سعيدة.. الربيع عاد.. القلب عاود النبض.. تساءلا وكل فى جهة ولم لا ؟

الحياة لم يعد بها الكثير من أجل أن يضيع.. التعاسة على الجانبين كانت كافية بأن تدم الحياة فى حد ذاتها والآن عليها أن يصححا ما أحدثه الزمن من مآسى.

وجد نفسه يتصل بها ويأخذ منها موعداً.. انتظرت اللقاء على أحر من الجمر.. طلب أن يكون الموعد على انفراد لأنه سيكلمها فى موضوع خاص ولبت النداء فقد كانت تثق به.. كان كل شىء واضح.. السنوات لم تنل من الحب الكبير بل أن (السجينين) أشعلاه أكثر كان يعلم أن المهمة المستحيلة فقد طالبها بأن تعترف مثله بأن الحب القديم كان كما هو بل زاد واعترفت له وطلب منها أن تشاركه التفكير الخطير بأن يرتبطا، ضحكا فقد كانت الفكرة شديدة الثورة وفى النهاية اتفقا على أن هذا الحب لم يكتب عليه الالتقاء...

المجتمع لن يرضى... الأبناء لن يوافقوا... العائلة لن توافق... آثرا أن يعودا من الرحلة بالإياب وأن يكتبا على أنفسهما الفراق الآن استطراداً للفراق الذى كان منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

فى هذه الليلة الممطرة فوجئت (كوثر) بمن يطرق بابها، كانت وحيدة والوحدة والملل قد استبدا بها وعندما جاءها النقر على الباب اكتسحها القلق... نادت من وراء الباب بأن يجيب ولكن لا حياة لمن تنادى... آثرت أن تكون شجاعة وتفتح الباب.. وجدته.. كان قطاً سيامياً جميلاً فى أشد حالات البرودة.. أخذ يموء مستنجداً

بها وعلى الفور فتحت له الباب بعد أن أدركت أنه لابد هرب من الجيران.. ضحكت ملئ شدقيها عندما نظرت إلى عينيه الداكنتين لاحظت فيه أمارات الكبرياء.. أطلقت عليه (بيسو) كانت الوحدة مخيفة ولكن (بيسو) جعل من الحياة فى هذه الليلة شيئاً آخر فقد سلاها واستراح إليها وحمد إليها أن آوته فراح يتمسح بها ويهش لها وقد بدا أنه يرحب بالصحبة هو الآخر.

عندما استيقظت كانت تنوى الاتصال بأهل البناية من أجل أن تعثر على صاحب القط (بيسو) ودعتها فوجئت بأن (بيسو) أحدث دماراً بكل ما استطاع من أثاث الشقة فقد حطم آنيتين للزهور ومزق كراسى الانتريه وحطم على الأقل سبعة أطباق كانت أطباق العشاء. ذهلت وشنت عليه هجوماً رهيباً إذ صرخت به فإذا به يموء معلناً أنه يجب ألا تصرخ فى وجهه وعلى ما يبدو أنه كان يقول لها (أنه لا يقصد) ولكنها لم تقبل أسفه فأجلبت حبلاً وربطته فى المطبخ من أم رقبته فإذا به يعلن ثورة من المواء، ثورة لا تخطر على قلب بشر، ومن ناحيتها إتصلت بكل الجيران ولكن الجميع أجابوا، بأنهم لا يربون قطط.. كان الغضب قد استبد بها فقد حطم (بيسو) بعض

الأشياء التى تحمل ذكرى لها وهكذا صممت أن تطرده مهما حدث ولكن الليلة ممطرة وشديدة البرودة ولسوف يكون الطرد مهيناً.. بعد يوم أو اثنين.. قدمت له أفخر أنواع الطعام ولكنها فوجئت أن (بيسو) لا يأكل.. كان يموء بصوته المفرغ وقد وضح أنه يثأر لحريته المفقودة.. فى البداية لم تلحظ ذلك، لم تلحظ العلاقة بين قيوده وعزوفه عن الطعام، اعتبرت أن ذلك من قبيل العمل الهمجى الذى قام به ولكن بيسو عزف عن الطعام يومين كاملين وهنا أدركت كل شىء، أوصلت الخط الفاصل بين دموعه وعزوفه التام عن الطعام وبين ربط عنقه بهذا الشكل المهين مما قيد حركته.. أدركت أنه مكتئب وتساءلت لماذا؟! وما هى إلا دقيقة حتى أدركت أن بيسو غير راض عن حياته بهذا الشكل وأن قدراته أهم وأقوى من مجرد قط يربط من عنقه بهذا الشكل المهين فى رجل منضده وأن رد فعله هو المواء المعارض والعزوف عن الطعام حتى الموت..

فهمت من ذلك الشىء الذى يميز (بيسو) كان الكبرياء كان عليها أن تصالحه وأن تختبر وجهة نظرها كان القط يكاد يعتذر لها بمواء معين عندما تنظر له نظرة العتاب، فكته فما أن كان منه إلا

أن تمسح بها، ولم يذهب إلى الطعام، لقنته درساً عميقاً فى الأدب وحددت له المحظورات وأن عليه أن يكون مؤدباً وعليه ألا يحطم شيئاً.. استمع القط بعناية وعندما أمرته بالأكل أكل كل الطعام، وضعته تحت الاختبار ثلاثة أيام فما أن كان منه إلا أن إنصاع تماماً وهكذا أبعدت فكرة ربط عنقه تماماً، واصلت الاتصال بالجيران لتبحث عن صاحبه ولكنها لم تعثر على صاحبه فما أن كان منها ألا أن آنسته وأتنست به وهكذا نمت بينهما علاقة حميمة أدركت منها عمق جميلها معه.. أدركت أنه قط نظيف متربى وأدركت فيه المواء اللطيف والحركات الرشيقة الجميلة وأدركت فيه روحه والتى كانت (الكبرياء)

عقدت مقارنة بينها وبين بيسو فإذا ببيسو يكسب.. كان كل شىء واضح.. القط بيسو رفض الحياة المهينة رغم الجوع الرهيب وآثر أن يموت ومعه حريته ولكنها عاشت دون كبرياء الحرية طوال ستين عاماً.. تساءلت هل أحببت بيسو؟! كان الموقف متأزماً حتى البكاء.. كانت ضربة بيسو لها عميقة.. أعطاها درساً فى ألا تفرط فى أى حق من حقوقها، أبوها ظلمها وباعد بينها وبين التعليم وبين

الحب ودفنها مع فؤاد وفؤاد أكمل عليها وعندما توفى وسنحت الفرصة إذا بالمجتمع يربط عنقها فى منضدة مثل بيسو ويجبرها على انتظار الموت.. المجتمع والأقارب كلهم قيدوها وأجبروها لأن تعلق ذكرياتها.. مثل أية قطة، ولكن حتى الحيوان يرفض المذلة.. الحيوان يريد الحب ويعشق الحرية ولا يتقيد بالأمور السطحية (بيسو) الآن على استعداد بأن يعيش حياة اجتماعية هادئة... على استعداد بأن يتزوج وينجب وأن يستمر فى الحياة.. أدركت أنها أقل من الحيوانات حرية وأن (بيسو) على الأقل يملك من الكبرياء ما هو أعمق منها.. فى صباح اليوم التالى قابلت عماد فى منزلها وعرّفته ببيسو الذى ظهر له وقالت له بكل قوة (آسفة - أرفض الموت) (آسفة أرفض انتظار الموت) (ومن حقى أن أعيش حياتى كما أريد) من حقى أن أحب.. وأن أعيد سيرة الحب لابد أن نتزوج.. لم يكن عماد أقل حماسة منها ولكنه حذرها من غضبة المجتمع وأنهما بمجرد أن يعلنا عن رغبتهما فلسوف يثور العالم كله ضدهما.. حكت له حكاية (بيسو) وكيف أنها تنوى أن تزوجه، حكت له آلام السنين.. آلام كل سجين فى بيت متعانق الجدران لا رحمة فيه.. استرحمته

بأن يكون شجاعاً مثلها وبالفعل كان عماد شجاعاً وأقسم أن يصب على المجتمع جام غضبه.. إنهما لن يفعلا شيئاً محرماً.. لم يغتالا أحد لأن الزوج والزوجة قدماتا لابد أن يعيدوا سيرتهما الأولى.. لابد ان يصعنوا الحياة لأن الحياة تُصنع ولأن كليهما يجب أن يكون فى قوة الشر الذى حجب عنهما الحب، لابد أن يكونا ثوريين ولابد أن يأخذا حقهما فى الحياة.. قررا أن يُزوجا (بيسو) وقررا أن يعلنا نيتهما فى الزواج للأقارب (العائلة) وللمجتمع وأن يعلنا التحدى إن لزم الأمر... كانا يعلمان أن الأزمة مع الأولاد بالذات مع أولادها ولكن كان لابد للنيل أن يجرى كما قالا.

نزل الخبر كالصاعقة فى كل مكان.. الأبناء جميعاً رفضوا.. الأقارب تندروا... المجتمع كله المتمثل فى المعارف واتحاد الملاك قالوا (كيف تبدأين فوق الستين) فردت (الحياة لا تبدأ إلا فوق الستين؟!)

الأبناء قرروا أن هذا ضد التقاليد وأن الرسالة قد تمت وأن الأمومة هى التى يجب أن تستمر.. وأن الثروة فى مهب الرياح فتنازلت لأبنائها عن الثروة (الميراث) فى مقابل الشقة والأساس وأعلنت أنها أولاً تحب (عماد) وأن هذا الحب منذ سنوات طويلة

وأن عماد هو الأصل وأن (فؤاد) كان الاغتيال وأن المجتمع تطور تطوراً صورياً لأن عقلية أبيها هى التى تزال تحكم.. صرخت دون خجل (أحبه) كانت الكلمة رهيبة... (أحبه) امرأة فى الستين من عمرها تقول لأبنائها وأقاربها والمجتمع أنها تحب؟! سمعت كل ما يمكن أن يقال (فاسقة) رقيعة هنماء زانية.. الجارة الوحيدة التى لا تزال تزورها قالت لها أنها تستطيع أن تفعل ما تريده فى السر بينها وبين حبيبها فى سبيل أن تبقى محترمة فى عين المجتمع. كانت كارثة المجتمع ها هو يلوح بإمكانية الزنا واستحالة الحب والزواج على غير ما يعلم.. رفضت كل الحلول وأعلنت للجارة أنها هى الفاسقة.. دبت فيها روح جديدة.. كان كل شىء يعود إلى الوراء مستقبلاً قررت أنها تحب وأنها ستعيش الحب كما تريده هى.. قررت أن تعيد الحياة إلى سيرتها الأولى أن تعيد الشباب وأن تحفر لها حياة جديدة.. كانت اللحظة لحظة فريدة.. الماضى والحاضر والمستقبل اندمجوا.. انها الآن تهزم أباها.. تهزم القسوة التى استقرت فى القلوب.. إنها الآن تقرأ لتعيد رغبتها فى القراءة كأنها تعالج عدم دخولها الجامعة.. إنها الآن تهزم الأمية الفكرية..

تهزم العائلة بأن تعلن الحب.. تهزم أبنائها العاقيين بأن تعلم أنها هى التى ستعطيهم ميراثها ولكن عليهم اللعنة.. تهزم اتحاد الملاك الذى تحول إلى وصيّ عليها دون وجه حق.. تهزم المجتمع الهَرِم الذى يتثاءب بالتقاليد البالية، تعلن له أنها تحب وأنها ستقهره وأنها لن تسمح له بأن يجعلها سجينة من نوع ثانى، سجينة من النوع الذى ينتظر الموت بعد أن كانت سجينة تنتظر موت زوجها لأكثر من ثلاثة عقود من السنوات العجفاء.. هى لحظة نورانية خالدة تأخذ فيها بثأرها من الجميع وتعيد تنسيق المجتمع كما ينبغى أن يكون.. هى لحظة ثورية أرادت ألا تضيع فإذا بها تتحدى الجميع.. تتنازل عن ميراثها بالفعل لأولادها الذين لا يملكون وقف خطوات الزواج بعد إعلان الخطوبة كذا.. رفعت قضية من جانبها على صاحب البناية بعد أن فشل اتحاد الملاك فى الاجتماع واتخاذ هذا القرار جماعةً ورغم أن إحتمال كسبها قليل لأنه إستمال بعضهم ألا أنها أصرت على رفع دعوى مهما كانت التكاليف. باعت كل أثاثها الماضى واشترت مع عماد أثاثاً جديدة من أجل حياة جديدة مزقت كل صور فؤاد وأرسلت رمادها إلى ابنتها التى لم

تقدر الحب بعد أن نعتتها بأنها مدرسة فاشلة، وقررت أن تجعل الزيجة معلنة بأن تجعل مقر الحفلة فوق سطوح البناية.. طبعت بطاقات الدعوة وعلقت الأنوار وأعلنت للعالم كله أنها لأول مرة تمارس حقها فى الحياة ألا وهو ممارسة الكبرياء والحرية والحق والعدل والحب.. وعندما جاء الجميع مرغمين إلى الحفل الأنيق كانت كوثر تلعن انتصارها وتعلن حبها الذى ظل أربعين عاماً بلا ارتواء ورغم كل الضوضاء ألا أنها كانت تسمع مواء بيسو فخوراً بعائلته الصغيرة التى يربيها فى شقتها بالدور الخامس.. كانت عيونها مع كل المدعوين عدا أولادها الذين لم يحضروا الحفل إذ قاطعوها ولكن عقلها كان يعمل بسرعة كبيرة لأنه يفكر الآن فى القضية التى رفعتها على صاحب البناية تطالب فيه بالجراج حق عام لكل اتحاد الملاك الجبناء كما أسمتهم.

الأحد ٢ /٣ / ٢٠٠٣

(٣)
إلى اللقاء

كان يضع اللمسات الأخيرة على الحملة العسكرية وهو يستعد إلى الذهاب إلى عمله بالمباحث... كان كل شيء جميلاً عذباً فقد استطاع فى الأونة الأخيرة أن يحقق نجاحات كبيرة فى عمله كضابط شرطة وأخذ وعود بمكافآت أدبية وعينيه من رؤساءه.. كان رؤساءه يدركون فيه الشبل من الأسد فقد كان أبوه اللواء فخرى من أخطر القيادات الأمنية فى الوزارة وحقق شهرة واسعة فى التقصى الجنائى، وقد كان الابن مثار الفخر مثل أبيه... كان كل شيء جميلاً خاصة أن حبه قادم إليه لا محالة.. الليلة السابقة حكى لها فى المسرة عن أحلامه فى تنقية المجتمع من الفساد..

كانت هذه هى المكالمة الثالثة، فبعد حب دام ثلاثة سنوات استطاع أن يصل إليها عن طريق المسرة.. أجبر على ذلك لأنها كانت على وشك الخطوبة.

obeikandl.com

استطاع بقدرات كضابط شرطة أن يصل إليها فى خلال أيام وليته فعل منذ زمن طويل.. قالت له أنت يا حسين تملك شخصية نادرة وأنك رغم كونك ضابط شرطة ألا أنك لا تعيش الواقع لأنك لا تستطيع أن تهزم الفساد لأنه أقوى منك.. (حسين) كان فى قمة حماسه عندما قال لها (أن هذا محال) (وأن الفساد قوى ولكنه فى نفس الوقت ضعيف لأنه فى الظلام ولأنه يخدم مصالح فئة إما قد شبعت وإما أنها ستجبر على الإنزواء.. وأن أبى علمنى ذلك.. والمجتمع علمنى ذلك، وأن المجتمع كله قد أنفق عليه الملايين من أجل أن يصون عرضه

- أنت من الزمن الماضى.

- الوزراء لم يعودوا فوق القانون، والمحكمة أصبحت تغوص بالكبار.

- محال..

كان الحديث شيقاً لأنه يتحدث كفارس وقد أدرك فيها الانهزامية.

- أنت انهزامية

- أنت خيالى..

وهكذا تعالت الضحكات.. لمس شغاف القلب وفى غضون

أسبوع واحد أقنعها بشخصيته الآثرة كان اللقاء الأول فى منتهى العذوبة.. حكى لها كل شىء فى النادى.. حكى عن أبيه الذى كانوا يسمونه فى الوزارة (فخرى الرهيب) وأنه قد توفى أثر مرضه بالسرطان وأنه قد مات بعد أن رباه أعظم تربية وأنه على نفس النهج.. لم يكن له.. كرجل قانونى وعملى.. وقت ليضيعه. حكى لها كل شىء بوضوح.. أنه أحبها منذ سنوات ثلاثة وأنه متيم بها وأن غرضه هو الزواج، وأن أسرته كبيرة وثرية وهو قادر على النفقات ولسوف تعيش معه فى مستوى ميسور جداً.. (حسين) كان الخط المستقيم وقد قابلت ذلك بروح عالية وقلب مفتوح وعدته ألا تهدر هذا الحب ولم تدارى إعجابها وعندما توطدت العلاقة أعلنا الحب.. كانت هذه هى مرحلة السرية فى الحب وكان يختلف معها إلى ما عنها ليعرف كل شىء بالتفصيل.

كانت فى أسرة كبيرة قد وفرت لها كل شىء وكان طموح الأسرة هو الطب ولكن الإبنة كانت فى كلية الأداب.

توطدت العلاقة حتى صارت حباً حقيقياً وفى هذه اللحظة كان حسين كخط مستقيم فى داخل الدار لتُعلن الخطبة..

كان حسين على وشك أن ينجح فى إحدى القضايا التى تهم الدوائر الأمنية.. تعددت السرقات فى منطقته.. كانت السرقات من النوع الجديد فقد تم مهاجمة ثلاث محلات بالسلاح الأبيض وقد تم سرقة المال كله.. سطو على عدة شقق فاخرة.. كان حسين محدداً الخطر جيداً.. تجمع اجرامى عتيق وقد فسر لنفسه عتيق أى داكن الإجرام لأن المجرم الذى يواجه صاحب محل بالسلاح الأبيض وأحيانا بالسلاح النارى فأنه لابد أن يكون سادراً فى غيه.. وضع خطة فى جميع الاتجاهات وذهب بنفسه إلى بعض المواقع التى يتوقع فيها العمليات القادمة.. لم تأخذه حياته الجميلة التى ازدانت بالحب من عمله بل أزادت شحنة النصوع ليعمل أكثر.. وفى الاجتماع الأخير وعد رؤساءه بأنه يوقع بالتجمع الإجرامى فى غضون الشهر.. التحريات أجمعت على أن ثمة ضربة كبرى ستحدث لشقة أحد الصياغ فى غضون يومين وكان هذا الموقع رقم اثنين فى قائمة التوقعات وعلى الفور تم التخطيط للكمين.

كان كل شىء هادئاً فى الشارع ولكن الكمين كان منثوراً فى كل مكان وما هى إلا ساعة إلا وبدأت الجلبة..كان هناك ثلاثة من

الشباب أتوا من مواقع مختلفة قاصدين الشقة وبعد أن فتحوا الباب أدركوا البقية الباقية من المصاغ (الطُعم) فإذا بهم ينهبون ويأتون على المال ويضعون كل ذلك فى حقيبة سوداء متوسطة الحجم وفى خلال دقائق كانوا فى أيدى (حسين)..

كان التكوين الإجرامى مكون من أربعة فقط وكان لهذا التكوين ذيلاً أخيراً وهو إدارة شقة للدعارة فى المعادى ومع اعتراف ثلاثة من المجرمين وصمت كرم وهذا اسم الشهرة، مع اعتراف الثلاثة الباقيين تم الهجوم على المكان بعد اتخاذ كافة الإجراءات القانونية...

كان ينتظر حسين عدة مفاجآت..

أولاً أن التشكيل الإجرامى كان من طلبة الجامعة

ثانياً: أن قائدهم كرم كان رئيس اتحاد طلاب الجامعة العريقة ؟!! وهو ابن أسرة سياسية كبيرة تنتمى إلى حزب الأغلبية ثالثاً وهذه هى الصدمة الكبرى أن (نُها) هو اسم خطيبته كانت إحدى الفتيات اللاتى تم القبض عليهن فى مهاجمة وكر الدعارة..

كان الموقف أكبر من الحوار.. لم يصدق (كرم)؟! ابن حلمى سالم ؟ لماذا ؟ سألة أدق سؤال عن هذه اللماذا وكان جواب كرم..

والذى أصر على أن يناديه كرم.. دائماً، أن هذه هى رغبته وأن هذا كله وهم وأنه من أسرة كبيرة وأن جده كان فى الاتحاد الاشتراكى وأن أباه ماجستير فى السياسة والاقتصاد وأنه أحد أعضاء حرب الأغلبية وأن مكالمة واحدة قادرة على إنهاء كل هذه القضية الوهمية..

كان حسين له بالمرصاد وقد سحق قلبه فرد عليه بأنه قتل أباه الذى خسر الانتخابات الأسبوع المنصرم وأن أباه حلمى سالم لن يستطيع أن يفعل شيئاً حِيال القانون وأن سخريته لن تغير من الأمر شيئاً.. رددها بقوة.. أن أباه من الطبقة الفاسدة التى تزور الانتخابات وأنه سليل العقلية الجامدة فى الستينيات وأن العالم قد تغير العالم أصبح قرية صغيرة كونية وأن القرار الخطير للسادات بعودة الأحزاب كان قراراً جريئاً وأن الهامش الديموقراطى الآن استجابة عظيمة للتغيير الذى حدث بالعالم.. صرخ فى وجهه بقلب المكلوم (العالم تغير) الدب الشيوعى انهار وكل رواسبه كان لابد أن تنهار.. الدم الجديد يغزو العالم ويثور العالم.. لم يعد فى الإمكان تزوير الانتخابات وأن الدم الجديد سيفرض نفسه على أساطير الماضى.. أبوك يزور الانتخابات ولكن الانتخابات السابقة كانت بلا

تزوير من أجل ذلك حدثت المفاجأة الكبرى وهو سقوط أقوى شخصيات الحرب فى الانتخابات.. لقد تغير العالم ولم يعد بوسع الفاسد أن يمارس فساده.. كان (حسين) جسوراً وقوياً لهذا فقد منع تسريب الخبر وألغى المكالمات التليفونية وأدار التحقيق وجمع الأدلة ووضع كل ذلك فى قالب قانونى عجيب خطير.. وعندما تمكن من كرم قال له: إلى القضاء.

كان حسين يخشى هذا اللقاء.. كانت نهى شبة عارية كانت الأوامر صارمة بألا يتغير شىء يؤثر فى التحقيق بعد التلبس... ولجت إليه وقد جف دمعها.. كان يريد أن يسألها (لماذا؟) حدجته بنظرة حانقة.

إفعل ما تريد.. لن تستطيع أن تفعل شىء.. كرم سيخرجنا جميعاً.

- أنتم مجرمون
- هذه هى الحياة
- الدعارة ليست جزءاً من الحياة.
- هذه هى إرادتنا.. الحب.. الجنس.. المال.. الحرية..
- هذا خروج عن القانون

- لا يوجد قانون

- والحب؟

- وهم.. أنا أحب أكرم لأنه جسور.. هذا هو فتى الأحلام سقطت كلماتها كالصاعقة (كرم) خرج عن القانون وهو ممثل القانون، ورغم ذلك فإن كرم هو الحبيب.. لماذا.. كان حب السنوات فى صراع مع الواقع.. لم يستطع إلا أن يعترف بخطأه (القلب أعمى) هكذا قال:

اعترف بشجاعة.. أنا أحبك..

- وأنا أنتظر منك أن تضع الثغرات فى تحقيقك لا تكمل التحقيق إسمع، المكالمات التليفونية وفى غضون ساعات سوف يستجيب الأستاذ حلمى وفى لمح البصر سوف نخرج بأموار عليا.. ساعتها سأكون لك.. ودع أمر الزواج.. سأمتعك.. أنا قادرة على ذلك هذه هى الحياة.. جنون.. حرية.. انطلاق من مهد إلى مهد من شاب إلى شاب.. الزواج لن يكون سوى النهاية وإن حدث فلن يكون سوى بداية لأنه التخلص الشرعى من البكارة.

ركعت أمامه.. حسين.. أنا أركع أمامك.. لا تستمر فى عِندك..

أنت عنيد ولكن القضية أكبر منك.. أنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً أمام سرطان الفساد.. نحن الفساد.. الحب ضائع بين أروقة الفقر.. أنت بهذا تهدى القضية إلى الصحافة ولسوف تعرض نفسك للخطر دون داعى.. لن تجنى إلا اهانتنا..

- الموضوع أكبر من مجرد دعارة.. لقد تمت خطوات فى سبيل الإجرام.. هناك تشكيل عصابى وهناك جرائم وسرقات وسطو وهناك بيت دعارة أنت رئيسته.. الأمر أكبر من حلمى ومن ابنه كرم التحقيق سوف يثبت الحادث..

- حسين كم تريد؟ أنت شاب ومازلت فى بداية حياتك.. تستطيع أن تجنى الكثير من هذا الموقف النبيل.. ما هو إلا إتصال برؤسائك وينتهى كل شىء.

- الموقف أخطر من كل ذلك.. الموقف هو مصر وهو العالم

- إياك أن تتحدث عن مصر وعن حرب الفساد.. لأن الفساد أقوى منك ومن مصر كلها.. وإياك أن تتحدث عن العالم.. من أنت حتى تتحدث عن العالم.

- المجرم الآن أقوى من ضابط الشرطة ومن القانون

obeikandl.com

- نحن فى العالم الثالث كل شىء فيه مباح

- لا... لابد أن يكون هناك رد.. الموقف أقوى من كل النظريات.. الموقف أقوى من القانون نفسه.. الموقف هو الإجرام المتأصل فى نفوسكم.

الحياة تتغير العالم يدور فى سرعة ضوئية إلى الحريات

اللعبة السياسية فى مصر أصبحت كالطاحونة ولابد أن ينكسر من يقف أمامها.. الرأى العام له دور ولسوف ألعب على هذا الدور.. (نهى) أنت فعلا ساقطة

حبك أدمى قلبى.. لوعة الحب أحرقتنى.. كثير عليّ أن ترتمين فى حضن مجرم مثل كرم طالب الحقوق وتتركينى كثير عليّ أن أرى عمرى كله يتحطم على يديك... أنا أحبك ولازلت أحبك.. لأنك تُحبين.. أنت زهرة جميلة وأسرتك كريمة.. ذكية.. شخصيتك راقية.. عقلك متقد الذكاء.. جمالك نادر ولكن رغم كل ذلك.. ورغم الحب فأنت مجرمة واشتركت مع التشكيل الإجرامى فى عمليتى سرقة.. أنت بل أنتم ضد المجتمع نفسه والحياة التى وفرها لكم المجتمع لم تستطع أن تهذب من نفوسكم فإذا بكم إلى الدرك الأسفل من الإجرام... أنتم تمارسون الدعارة.. أذبتم كل الفوارق.. أنتهكتم

الحرمات.. سولتم لأنفسكم السرقة وكان ذلك للإجرام البحت لأنكم أغنياء ولكم السطوة.. حلمى سقط فى الانتخابات التشريعية ولسوف ينذوى...

- حلمى قوى ولن ينهزم فى هذه القضية

- أنت حطمتينى ولكنى لابد أن أقوم بواجبى... لن أتصل برؤسائى ولسوف أعمل التحقيق وأكتب بنفسى ما يجعل الأدلة دامغة لإدخالكم إلى السجون ورفتكم من الجامعة.. لسوف أنكل بكم..

كانت خطة حسين ناضجة تماماً.. فأولاً كتب كل ما يمكن كتابته من أجل تحقيق جنائى محكم وثانياً اتصل بالصحافة فإذا بعدة من الصحفيين يهرولون إليه فقد كان يريد أن يخرج من الموضوع عن قبضة الشرطة وأن تتحول القضية إلى رأى عام مازال به احترام القانون وثالثاً أتصل برؤسائه فساد الوجوم وتوقعوا هجوماً من حلمى.. أما حلمى فقد كان يعيش أسوأ أيامه كان حلمى سليل أسرة سياسية تمتد من العمودية إلى الاتحاد الاشتراكى إلى حزب الأغلبية.. كان انتهازيا، لصا، تخرج فى السياسة والأقتصاد لأنه كان يريد الوزارة والتحق بتوصيات من أبيه بحزب الأغلبية الحاكم..

كان تزوير الانتخابات هو الإجراء الروتينى الذى ينتهجه حلمى للوصول إلى المجلس ومنه إلى النفوذ السياسى ولكن حلمى كان يتمتع بأن أسرته لها أساساً هذه النفوذ فى تسلسل عائلى محكم ولم يكونوا على استعداد أن يفرطوا لا فى السلطة المتشعبة ولا فى المال ولا فى النفوذ وهو النهاية المنطقية لكل ما سبق..

كان حلمى من الكبار ولكن الرياح أتت بما لا تشتهى السفن.. كان الماضى بلا أحزاب ولكن الحاضر والمستقبل كان دوامة من الأحزاب وإعصار من الحياة السياسية التى تلقى الوعى لدى الرأى العام.. وقد كان لهذا دورة.. بدأت الحياة الحزبية مع السبعينيات بعد انقطاع دائم امتد طول الحقبة الناصرية وكان الرأى العام يتململ وكانت الحياة السياسية فى مصر تبدأ فى التثوير الحقيقى لا فى التثوير الزائف لأن الديمقراطية والأحزاب هما الطريق الحقيقى فى تثوير أى أمة.. وفى لمح البصر استطاع حلمى أن يعبر عبر العائلة بأن التقط الخيط والتحق بحزب الأغلبية الحاكم، بعد دراسة سياسية، ليكون فى محل الصدارة وقد كان الآن (حلمي) فى الأساطير السياسية ولكن الضربة القاصمة بعد أن وقف

الحزب بالكامل بكل قوة معه لأنه من الكبار دون الوزراء لرأى من كبار السياسيين فى الحزب وأحد العقول المفكرة فيه، ولكن الضربة القاصمة بعد أن تقلمت أظافر التزوير بعد انضاج الحياة السياسية والحزبية فى مصر، كانت أنه خسر الانتخابات.. كانت الضربة الصاعقة أفقدته التوازن ولكن عمق الضربة أنها كشفته لقيادات الحزب وفى غضون شهر واحد ظهرت النتيجة الواضحة أن (حلمي) أصبح عبئاً على الحزب لأنه يمثل الفترة الواردة.. الفترة التى كانت تزور انتخابات من أجل إثبات الوجود.. الآن حلمى ناضب.. كان هذا هو رأى الحزب.. لم يعد له أفكار... لم يعد له نشاط. كان يريد الوزارة ولكن الوزارة تستلزم العقلية الديناميكية المرنة أما هو فقد كان متحجراً لا يرى إلا النفوذ والسطوة ولا يرى إلا التزوير كحل بديهى للوصول إلى القمة.. الآن لم يعد هناك تزوير على الأقل فى زمامه لأن الأحزاب هاجمته ورشحت فى مقاره أخطر كوادرها من الشباب المحنك فسقط حلمى العجوز هو وأسرته التى تمتد من ادمان العمودية إلى الاتحاد الاشتراكى وكانت الدماء الجديدة تفوز مع الحزب وتتناغم مع القيادات السياسية خاصة

أن القيادات السياسية كانت تريد الشباب لأن الشباب مستهدف من أجل ذلك فقد كان الشباب المثقف هو البديل (لحلمي) وكان هذا الشباب من الجيل الجديد.. جيل أكتوبر هو نفس الجيل فى كل العالم الذى يرفض الحروب ويميل إلى الحرية وحقوق الإنسان والحق والخير والعدالة الاجتماعية دون جدار المبكى ودون جدار الصين ودون جدار برلين، ولعل هذا الشباب الجديد هو ما أثار حفيظة (حلمي) فراح إلى مكتبه وشركاته ليعوض بهم السياسة الهتماء لديه.. كان المد لا يجف و(حلمي) يقف كجزيرة منعزلة أو كضريح يريد أن يأخذ بثأره، ولكن هيهات لأن حلمى يفتقد إلى المرونة ولأنه أصبح فى متحف التاريخ لأنه قد تعب ولا يجد فى أحاديثه إلا الحديث عن الماضى ونسى أن الماضى قد انتهى وأن الدورة السياسية سريعة ومتلاحقة وأن العصور تتبدل وأنه يجب عليه أن يتواضع مع رؤسائه وأن يتواضع مع الشباب وأن يأخذ منهم ويرد عليهم.. كانت الهزيمة قاسية خاصة أن جيل الشباب كان الجيل الذى هزمه داحل الحزب وهو نفس الجيل الذى هزمه فى الحزب المنافس وهكذا أصبح حلمى ثغرة ينفذ

منها الحزب المعارض وثغرة ضعف فى بنيان الحزب الكبير.. راح حلمى يعيد حياته ويتحدث إلى المعجبات اللائى ينفضضن عنه فلا يجد مردود لكل كلماته فلم يجد إلا السكرتيرة المعجبة بمن هزمه فى الانتخابات ولكن حتى المرأة كان قد أخذ يودع حياته الخاصة بها.. هنالك أدرك حلمى (النضوب) هكذا جاءت قضية ابنه (كرم) لتحطمه أكثر.. كانت كل الصحف تتحدث عن التنظيم الإجرامى وتتحدث عن أثره فى تدمير المجتمع وكيف أن القيادات السياسية لم تستطع أن تكون جيلاً جديداً بعظمة الماضى فسقط كل شىء... الصحف أعلنت أن المجتمع ينهار.. وأن الطلاب فى الإتحاد تحولوا إلى لصوص وسرقة لأن قدوتهم مهزومة فى الانتخابات.. مهزومة فى أقدس ما تملك ألا وهى الحياة فى حد زعمها.. انتصر حسين واستطاع أن يفلت من كل ذلك بالقضية وهنأه رؤساءه بأن هذه ضربة معلم ولكن القضية مازلت فى خطر وينبغى أن يتابعها كان رد فعل حلمى وأسرته رهيباً لأنه لن يسقط مرتين مرة هو ومرة ابنه.. جمع معه أسر المجرمين والداعرات خاصة (نهى) وذهب إلى مكان ليخلص ابنه ولكن كان حسين له بالمرصاد كضابط صغير

يعرف مقامه لأنه لا يريد أن يحتك به. كان (حسين) يعلم أن الصدام قادم قادم وأن حلمى لابد سيطلب منه بعض التغيير فى الألفاظ ولكنه كان يستمد العون من الله ومن شرفه هو ومن ميراثه ومن قوة أبيه (فخري) رحمه الله.. لم تمر سوى ساعات حتى بدأ حلمى يتحرك.. كان من الممكن أن يسقط فى الانتخابات ولكنه لن يفقد نفوذه ولن يفقد ابنه.. طلب مقابلة عاجلة مع قيادات الحزب ولكن الرد جاء فاترا (إن الأمور فلتت وأن الضابط فعلها بابنك وأن القضية تحولت إلى رأى عام) ثار حلمى ثورة شعواء واتهمهم بعدم رد الجميل بعد طوال هذه السنوات من الخدمات المستمرة قالوا: (أنهم قد وقفوا معه بكل قوة ولكن حلمى لم يعد مقنعاً للرأى العام وأنا الشباب لابد أن يأخذوا الزمام) بحسب قوتهم بينما كان الحديث عاصفاً ولكنه كان ضربة المقصلة إذ أدرك المسألة وهى أن الحزب يتخلص منه وقد كان ذلك واضحاً عندما قالت إحدى القيادات (إلى اللقاء) ولكن حلمى رد بأنه لن يترك ابنه فى السجن وأنه سوف ينهى هذه المسألة بطريقته الخاصة.

حسين كان فى شأن آخر فقد كان مهزوماً فى حربه الخاصة.. حرب الحب..لام نفسه كثيراً.. كيف.. يحب غانية؟! كيف لم يعرف أنها غانية ؟! كان خياله عميقاً خاصة بعد أن حقق معها وأدرك مدى رقاعتها، كان يحبها حباً مدوياً ويعشق فيها النفس والروح والجسد وقد آلمه حتى الكمد أنها تذهب بالشرف وتضع جسدها.. أملة فى أحضان المجرم القذر كما قال...

هام فى كل شوارع القاهرة فقد أراد أن ينسى ولكنه كان يرى فى كل وجه وجهها. كان طريقه المسائى طويلاً وحيداً ولكنه ما لبث أن هوجم بقطيع من الكلاب.. لم يكن القطيع يقصده ولكنه كان يهاجم كلبة بنية اللون كان نباحها يمزق نياط القلوب.. اندهش لأن عدد القطيع كان كبيراً، أخذته الحماسة فى أن يدافع عن الكلبة.. كانت جريحة تنزف وقد أدرك فيها الضعف.. دافع عنها وخاض معركة مع الكلام المتوحشة لمدة ربع ساعة.. لم يعرف لماذا يهاجموها هذا الهجوم.. الرأفة أخذته إلى أن يقترب من الكلبة... ودعته وحفظت له الجميل وما هى إلا ربع الساعة إلا وقد حملها إلى مستشفى بيطرى.. ترويضها أخذ منه الساعة وقتاً ولكنه صمم

أن ينقذ هذه الكلبة الجريحة.. منذ ذلك الوقت وقد توطدت العلاقة بين الكلبة وبين حسين.. كانت تنتظره صباحاً ومساءً وكان يضع لها الطعام بجانب البواب.. حاول أن يعرف منها لماذا يهاجمها هذا القطيع ولكنه لم يجد منها بالإجابة ولكن بعد أن عاش معها عدة أيام أدرك فيها أنها مشاكسة وعنيدة وأن دمها خفيف.. وجد فيها الروح المرحة ووجد فيها الصحبة بعد أن ولى الحب.. أما موقف حسين الذى أصبح له صديقة فقد كان قوياً.. أسرة (نهى) ذهبت إليه كواسطة خير بينه وبين (حلمي) ولكن حسين رفض كل واسطة خير بينه وبين حلمى أو بينه وبينهم وقال لهم (أن الابنة خدعته وأنها مجرد عاهرة).. كان لابد لحلمى أن يكون له رد فعل، فبعد أن طلب منه (حسين) عدة مطالب رفضها حسين جميعها هدده بالقتل لأنه لن يسمح لأبنه بأن يدخل السجن ويرفت من الجامعة وينتهى مستقبله، كان رد حسين واضحاً [أن كرم حرامي] وأنه سقط فى الانتخابات وأنه أصبح عهداً بائداً قد انتهى.

كان الرد المبدأى لحلمى أنه حمل فى الوزارة على حسين ولكن قيادات الداخلية وقفت له بالمرصاد لأنهم أدركوا أن حلمى

لم يستند إلى النفوذ السابقة فما أن كان من حلمى إلا أن جهز مجموعة من الفتوات هاجموا حسين أمام باب نيابة ولكن الكلبة الصديقة التى أسماها حسين (مرمر) أنقذته فقد هاجمتهم بضراوة وأنقذت (حسين) من علقة ساخنة ولكن وجهه كان مليئاَ بالكدمات.. تصاعدت الأحداث لأن حسين أصر على التصعيد ولكن لم يكن هناك أوامر سياسية ضد حلمى وهكذا تم إهالة التراب على الحادثة. القيادات السياسية رأت أن حلمى قد أخطأ الخطأ الجسيم وأن عقلية الضرب أصبحت من التقاليد البالية وأن القيادات مصممة على عدم التدخل لأن حلمى لابد أن ينتهى.. القيادات لم تلم حلمى اللوم الكافى ولكنها ألمحت له أنه إذا أراد أن يستمر فى الحرب فعليه أن يكون أكثر وعياً عن ذى قبل ولكنه ثار وقال أنه خسر الانتخابات ولكنه لن يخسر ابنه لأن ابنه هو حياته وهنا آتاه الرد المقتضب (أنه لو لم يعتدل فلسوف يفقد نفوذه أيضاً) كان حلمى ساخطاً مهزوماً وقد أدرك أن قدراته لا تسعفه لأن يكمل المشوار السياسى.. كانت حياته من قبل أن يزور الانتخابات وأن يضمن له موقع فى المجلس التشريعى وأن يتخذ من كل ذلك شبكة

نفوذ ومعها المال من أجل الوزارة وقد كان طموحاً لأنه كان يريد الحكومة ذاتها والآن عليه أن يقرأ من جديد وقد ودع ذلك منذ زمن طويل وأنه عليه ألا يستعلى على الجيل الجديد وألا يستعلى على الناخب وأنه عليه أن يذهب إلى الناخب حيث هو وحين هو وأن يحل مشاكله وهذا كثير لأنه يعتقد أن الناخب مجرد بطاقة استهلاكية لا بطاقة انتخابية وأن ثمنه عشرة جنيهات من ملايينه العديدة وقت النزال فقط ثم عليه فى النهاية أن يرضخ للقانون هو وابنه وأن يرضخ للرأى العام الذى يكن له كل احتقار وهنا ثارت ثائرته لأن الرضوخ للقانون معناه نهاية ابنه وهو لن يسمح بذلك.. المعركة كانت طويلة وممتدة ولم يقتنع حلمى بنهايتها لأنه لم يكن يرى الحقيقة، لم يكن يرى أن العهد الذى يعيشه العالم كله هو عهد النور والقراءة حتى فى أشد الدول حرية وديمقراطية وأن الأحداث أثبتت أن الدول الحرة قد تتعامل مع شعوبها بأشد من الدكتاتورية السوفيتية وأن العالم الحر قد يشن حروباً على دول صغيرة يموت فيها أبنائه ويفقدون فيها مليارات من العملات من أجل خدمات للصهيونية وأهل البلاد الحرة لا ناقة لهم ولا جمل

فى هذه الحروب، لم يكن يرى حلمى إلا أن ابنه سوف يسجن ولكن الحقيقة الكاملة أن ابنه سرق وأن (حسين) أدى ما عليه أمام الله وأمام القانون وأمام المجتمع.. لم يدرك حلمى أن قطاره قد ولى وأن العهد الجديد لسوف يشرف كاملاً على العالم بنهاية الصهيونية.. لم يدرك حلمى أن الصهيونية أفسدت العالم من أجل أن تعيش وأن الفساد الذى ضرب العالم الذى كان لابد أن يكون له أضواء فى العالم الثالث فضلاً عن كونه عالم ثالث.. وعندما مرت الأيام القليلة أدرك حلمى المأساة وهى أن الحزب قد ضرب كل الكرات بعصا البلياردو وخلاصة الضربة أن الحزب قد ترك حلمى ليذبح هو وابنه لأنه أصبح من العقول الجامدة المتجمدة التى لا تقرأ المتحجرة التى لا تقرأ، العقول الاستهلاكية التى تستهلك طاقة الحرب وتشوه صوره.. هنا أدرك أن ظهره قد انقصم. ولكن حلمى ليس بالذى يذهب دون دم وقد كان دم حسين هو الثمن.. فى الليل البهيم سحقت حسين سيارة من سيارات حلمى الطائشة.. كانت اللحظة لحظة انتقام وقد كان حسين هو رد الاعتبار لحلمى. أما حلمى فقد عقد صفقة مع الحزب مفادها أن يقدم استقالته

للحزب مقابل عدم مساءلة أحد عن دم حسين وأن تقيد القضية ضد مجهول على أن يترك الحزب قضايا الرأى العام إلى الرأى العام ومنها قضية ابنه كرم.. وقد كان.. كان كل شىء هادئ فى القاهرة عند العزاء فى مسجد عمر مكرم ولكن الكلبة (مرمر) كانت تجوب مكان الحادث أمام بيته كما فى حادثة الاعتداء الأولى.. عاشت مرمر وحيدة.. لم تترك المكان الذى سقط فيه حسين ميتا طوال حياتها الحزينة القادمة.. كان نباحها كأنه يقول لن أنساك يا صديقى.. يا من أنقذتنى.. يا حبيب (نهى).

الأثنين ٣ / ٣ / ٢٠٠٣

obeikandl.com

(٤)
القطة المغمضة

(مَن؟) كان هذا هو السؤال الذى حير (هانم) طوال الخمسة سنوات الخالية.. من تصلح زوجا لابنها ماهر ؟ ماهر كان فلذة الكبد.. عمره خمسة وعشرون عاماً انصرمت فى كفاح عصيب منها، ولما كانت فاقدة الأمل فى الجيل الحالى من الفتيات فقد أزاد هذا من قلقها قلقا.. كانت تعتبر أن الجيل الحالى من الفتيات نمرودات ولئيمات، وهذا لا يصلح مع ماهر، لأن ماهر كالقطة المغمضة.. رجل شهم خجول ولم يعرف طوال عمره العلاقات النسائية وهكذا لابد من قطة مغمضة تناسبه هى الأخرى.. ولكن من؟ لم تلبث أن قدمت من قِبل إحدى الشريفات وكانت الابنة (أمل) هى الموضوع ولكن الأم لاحظت أن فستانها قصير وأنها ترد عليها الكلمة بالكلمة وأن اللؤم يتفجر من عينيها الضيقتين وأن جسمانها ضعيف، وكان استنتاجها النهائى من ساعتين أنها لا تصلح متكبرة ومجبرة ولا

obeikandl.com

تصلح لفتح بيت، فلملت بعض أشيائها وراحت إلى بيتها لتُطلع (ماهر) على النتيجة.. أدرك ماهر منذ أول لحظة أن أمل ليست فارسة الأحلام لامه (هانم) وقد رضخ على الفور لرأيها رغم أنها كان يريد رؤيتها خاصة عندما علم أن فستانها قصير لانه يعشق سيقان الجميلات وأمنيه حياته أن يتزوج من طويلة الشعر، جميلة السيقان، رقيقة الأنامل.

الليلة لم تكن كأى ليلة لأن الأم قررت لأول مرة فى حياتها أن تزوج ماهر من الأقارب خاصة أقارب الدرجة الرابعة لأنها يئست من الاختيار دون الأقارب، كانت دائماً تتحاشى زواج الأقارب لأن الخلاف فيه لا يدوم ولأن المشكلة فيه بين الزوج والزوجة تتداول إجبارياً بين الأسرة الواحدة، وهكذا فإن المشاكل لا تحل، ولكن لم يكن بد من ذلك لأن معينها من البعيدات قد نفذ وأن ثمة فتيات مازلن فى العائلة الكبيرة وعليها أن تطرق بابهن.. فراحت إلى القهوة عاصرة عقلها من أجل أن تبدأ البحث من جديد. فحصرت الاختيارات فى أربعة أولهن (عفاف) وعددت صفات كل واحدة منهن وحددت التاليات بعد عفاف بعد ترتيب دقيق رصين كانت

openkanar.com

قد حسمت أمر الزواج منذ ثلاثة سنوات بأن أمرته بالزواج ومنذ ذلك الحين وهو يبحث معها عن بنت الحلال والقطة المغمضة وبنت الأصل الغير نمرودة والتى لابد أن تكون فى قبضته لأن هذه هى الوصية الأولى من وصايا الأم العديدة.. الأولى أن تكون فى قبضته قاهراً إياها لأنه الرجل.. الثانية أنها لابد أن تكون مؤهل دراسى دونه، وهو بكالريوس تجارة وهى لابد أن تكون على أقصى تقدير تعليم متوسط إما الثانوية العاملة وإما الدبلوم.

الثالثة لابد أن تكون قبل العشرين حتى يكون فارق السن منعة لماهر دونها ومن ثم أيضاً أن يكون أنصح منها فيستطيع أن يقهرها الرابع أن تكون جميلة وأن هذا بالذات متروك لأمه لأنها تستطيع تقدير واختيار الجمال. الخامس أن تكون غنية.. السادس أن تكون من أصل طيب وأسرة محترمة.. السابع أن يصر على ألا تعمل حتى يكون هو مصدر المال الوحيد فترضخ أكثر وأكثر. كانت جلسات العمل بينها وبين ماهر عديدة بخصوص هذا الشأن المتعدد الشروط، ولكن الأم أدركت فى (ماهر) عدم الاكتراث بهذه الشروط ومن هذا المنطلق أخذت تقنعه طويلاً حتى تَشرّب كل

هذه الشروط ومعها المحاضرات حتى صار صاحب رأى لا رجعة عنه بأن يكون سيد البيت وقاهر زوجته والمسيطر الأكبر على كل شئون البيت وأن هذا يجب أن يكون.

انتهى ماهر من كل هذه المحاضرات فقد كان يتوقع فى أمه أن تنادى بالعدل خاصة أن أباه كان شديد المراس وأنه قد أدرك فى أم التعاسة وضياع الرأى فى حياه أبيه.. اندهش لأن الأم كانت تريد أن يطغى بشخصيته على شخصية زوجته تماماً مثلماً فعل أبوه مع أمه، وأن أمه أرادت أن يمتد الحيف إلى الجيل الجديد رغم مر الشكوى منها إلى ماهر من أبيه خاصة عندما مات الأب منذ ثمانية سنوات..

أدرك الأبن أن الرجل على حق فى أن يظلم المرأة لأن المرأة هى التى تدعو إلى ظلم المرأة...

أما ماهر فقد كان فى شأن آخر.. كان ماهر كسير النفس، ضعيف لأن الأب لم يمحُ شخصية أمه فقط ولكنه محى أيضاً شخصية الإبن.. كان أبوه يعنى الرعب ومع تراكم السنوات أدرم الإبن فى نفسه سقم الضعف فاستسلم إلى أمه وأبيه - يحولونه

- كان هذا هو سره الأكبر - الضعف - من أجل ذلك فقد كن طموحه محدوداً.. كان يريد أن يكون جامعياً لأن هذا هو قدر العصر الذى يعيش فيه ولما كان من أسرة ميسورة فقد نأى بنفسه عن العمل المرهق أو السفر خارج مصر مجموعه أوصله إلى أبواب كلية التجار فاجتازها فى خمسة أعوام بدلاً من أربعة أعوام.. الابن (ماهر) كان ضعيفاً وحيداً حتى فى مجموع الأصدقاء.. نعم ماهر كان ضعيفاً ولكن ككل ضعيف كان يعبد رغبته الجنسية.. فراح فى القراءة عن كل تفاصيلها، وبعد البلوغ بعامين تمكنت منه فإذا به يمارسها مع بنات الجيران (بنتان) ثم اختلف سراً إلى بيت الدعارة البعيد فى أقصى المدينة.. لم يكن (ماهر) قطه مغمضة على زعم أمه ولكنه كان ضعيفاً عابداً للجنس فى حد ذاته..

بعد أسبوع كان ماهر أمام عفاف كان كل شىء رائعاً.. عفاف هى القطة المغمضة التى تبحث عنها (هانم) فيها كل الصفات، جميلة وذات حسب ونسب ومؤهلها مقعول ومقبول (دبلوم تجارة) وأنها أخير مثل الأم من الأرياف ولأن الأم قد قنطت من بنات المدينة، عفاف لم تتحرك خارج القرية كثيراً... درست فى

القرية الابتدائية والاعدادية وفى المركز الذى يبعد عشرة كيلو مترات كان التعليم المتوسط وهكذا فهى بشوكها وأنها (قطة مغمضة) كانت عينا عفاف دائماً إلى الأرض فى خجل فقد جاء أخيراً شريك العمر.. تهمس إلى حماتها وتغرد إلى ماهر وتنفذ كل توصيات الأم فى شغف.

أدركت الأم أنها ولأول مرة أمام الاختيار الصحيح وطباع عفاف أبعثت تنمر ماهر فى أن يفترسها تماماً من كل ليلة فيسيطر على جسدها وعلى حياتها.

اخيرا اختلى ماهر بعفاف.. لم يكن هذا هو اللقاء الجنسى الأول لمهار المتنمر لاقتطاف بعد صبر دام ربع قرن هى كل عمره... ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.. كان أول طلب من عفاف لماهر هو ألا يقربها فى هذا اليوم كانت (عفاف) تسعى إلى الصدام مع ماهر وقد أدرك ذلك فأخذته المفاجأة، حاول أن يتفادى الصدام ولكنه لم يستطع تسائل فى شده لماذا؟! (عفاف) قطة مغمضة ترفضنى ليلة زفافى هذا مستحيل ؟! فات (ماهر) وأمه هانم أن حقيقة عفاف ليست ما قد أدركاه (عفاف) كانت أخبث مما توقه العالم.. الوحيدة

التى أدركت خبثها هى أمها (عندما قالت لها: أنت خبيثة)..

عفاف بإختصار لم تكن القطة المغمضة ولكنها هى التى أطلقت على ماهر ذلك.. قالت له عندما اشتد الصراع فى هذه الليلة (أنت القطة المغمضة، ولست أنا).

فأين الحقيقة ؟! الحقيقة أن عفاف، كانت تملك خطة كبرى.. عاشت مثل كل بنت من بنات القرى شظف العيش، والحيف المجهول من الأب، كان موقعها فى الأبناء الأخير بعد ولدين ورغم أن الأب كان يملك المال إلا أنه لم يكن ينفق على تعلم عفاف القدر الكافى ولكنه لم يمانع فى تعليمها فأدركت من التعليم الأساسى ما أهلها إلى التعليم المتوسط فكان ذلك من أكبر الصدمات كان طموحها كبيراً هو الجامعة ولكن الظروف الاجتماعية القاهرة جعلتها فى الصف المتوسط من التعليم فأتى ذلك على طموحها وأورثها العقد على كل جامعية من زميلاتها حتى من تمثل دور الجامعة فى التليفزيون والسينما، كرهت العالم، الأب لأنه فرّق بينها وبين الحياة بأن جعلها فى الصف الأخير، وكرهت الأم لأن أمها لم تدافع عنها، كرهت أخويها لأنهما تميزا ودخلا الجامعة وعاملاها كخادمة.. كرهت القرية أشد الكراهية ونعتتها بالمقبرة..

آليات حياتها أسلمت إليها بواعث الحقد فاستثاغت الأمر.. لم تستطع منع نفسها من الطموح ولم تستطيع منع نفسها من الحقد.. أورثها كل ذلك شعور رهيب بالنقصان.. ذلك الشعور بين ما تحب أن تكون وبين ما هى عليه الآن البون شاسعاً.. كانت تريد أن تكون مدرسة وهى الآن مجرد خادمة وستنتقل إلى بيت آخر من أجل أن يُفترس آخر جزء منها ألا وهو جسدها لتتحول إلى متاع كامل وإلى خادمة بالمعنى الكامل، فأين الطموح وقد طحنه الظلم والحرمان وأين التطلع وقد أتى عليه الفقر فقر الفكر بالتحديد، أدركت أنها شيء صغير جداً فى الكون، شيء تافه، وهذا عكس ما توده فسولت لنفسها أن تحقد وسولت لنفسها أن تحقد وسولت لنفسها أن تخطط وأن تطحن كل من تقدر أن تطحنه فى سبيل الوصول إلى الهدف، وهو الجامعة أدركت أن هذه انتهازية ولكنها سمحت بذلك وقالت العالم كله كده.

أدركت أن هذا سيحولها إلى ظالمة فقالت (أكون ظالمة ولا أكون مظلومة) كانت تتابع فى شغف برامج التلفاز ومسلسلاته فكونت وجهة نظر بعد مشقة وهى أنها لابد أن تعيش فى مثل هذه الحياة.. الحرية.. الانطلاق.. المدينة.. والاعلانات أسلمتها إلى عناوين الكتب والمجلات فدخلت حرباً مع أبيها من أجل المجلات

الدورية فوافق لها على مجلة واحدة فقط كان طموحها يأخذها إلى القراءة والدراسة خاصة عن الرجل وعن الحياة ولكن لم يأذن الأب لها بكتب على الإطلاق فقد اكتفى بكتب التعليم فراحت تنهل من برامج التلفاز متمنية هذه الحياة وهذا المكياج فى أجمل وجوه العالم، وحاولت أن تعوض نقص الكتب بكتب أخويها ولكن تخصص كل منهما جامعياً.. وهذا ما فت فى عضدها لأنها التى لم ينفق عليها من أجل التعليم فأصابت المتوسط لم يساعدها فقد كان تخصص الأول تجارة والثانى القانون وهكذا فقد كانت كتبهما شديدة التخصص إلا أن القانونى من أخويها كان صاحب بعض القراءات فراحت تقرأ معه فقرأت عن الحياة وعن الحب بعض الروايات وعندها وصلت إلى بعض أسرار الرجل وكانت هذه هى نقطة الانطلاق كانت تود أن تعرف ما هى مواضع قوة الرجل فأدركت أن كل ما فيه قوياً ولكن أخوها قال لها الشخصية هى أخطر ما فى الإنسان وأن الرجل صاحب الشخصية القوية يظهر من قدرته على اتخاذ القرار.. أنضجها ذلك بعض الشىء ولكنها كانت تريد أن تعرف أكثر لأنها لن تظلم مرتين.. هى هنا حبيسة أربعة جدران كابنة مظلومة ولكنها لن تمد سجنها إلى بيت الزوجية بل

ستجعل بيت الزوجية هو بوابة السجن من أجل أن تحقق كل أهدافها المدينة ثم الدراسة الثانوية ثم الجامعة ثم الانطلاق فى الحياة كما تريد ومن أجل ذلك عليها أن تسوى الرجل وتقهره حتى يتحول إلى عجينة لينة فى يدها.. كانت حصيفة وهذا أهلها إلى إلى أن تحاول التمعن فى نقطة الضعف فى الرجل وهذا استلزم منها أن تحلل برامج التلفاز وأن تتابع كلمات الرائدات فى العمل النسائى وأن تقرأ كل ما يقع فى يدها من كتب أخيها ووجدت ضالتها وقد كان ذلك فى روايات الحب.. أدركت أن الرجل إذا أحب كان هذا هو المنطلق لتحقيق رغبات من يحبها ولكنها رفضت الحب هى لا تريد الحب.. هى تريد القهر.. تريد أن تسوس الرجل قاطبة لتكون هى الطاغية التى تجعله يسير على الأحبال كالبهلوان، لحب (لا) وألف (لا) كانت تدرك أن جوهر الزواج هو هذه العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة وأن هذه العلاقة أى الجنس لها السطوة الكبيرة فى حياة الرجل والمرأة.. كانت قد أدركت رغبتها الجنسية ولكن هلعها على البكارة لم يجعلها تمارس أى نوع من أنواع اجلاب المتعة مثلما نصحتها بعض زميلاتها والمتزوجات من صديقاتها وبعمق أدركت أن نقطة ضعف الرجل هى الجنس وأنها النقطة التى

openkandil.com

يجب أن تحتويها جيداً وهذه النقطة بالتحديد لها فيها النصف لأن الرجل يشارك المرأة الفراش.

أخيراً وجدت ضالتها.. الجنس، الجنس هو النقطة التى لا تقاوم فى حياة الرجل، أعادت قراءة بعض الروايات العاطفية فى مكتبة أخيها المتواضعة ففهمت ذلك على اقتضاب فما كان منها إلا أن ارتادت بعض الصديقات المتزوجات من أجل أن تعلم مدى أهمية ذلك على أرض الواقع وقد كانت النتيجة واضحة (أن الرجل لا يملك إلا أن يرضخ أمام الجنس) وما هى إلا أسابيع حتى وجدت ضالتها الأخيرة وهى عدة كتب جنسية فاضحة قد خبأها أخوها جيداً تحت مرتبة السرير وعلى الفور وضعت يداها على الكنز.. الآن هى على بداية الطريق.. ولم يمر أسبوع حتى قرأت أربعة كتب عن الجنس فأدركت سطوته، وصلت رغبتها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه بعدما تلاعب بها الخيال.. كانت سعيدة فبعد كل هذه السنوات أدركت السر.. أدركت كثيراً من الحياة وحددت هدفها جيداً.

كان طموحها رهيباً، ذاك الطموح الذى لا يقف أمامه حائل وفى غضون شهور وضعت خطتها.. أولا أنها يجب أن تتزوج من رجل شخصيته ضعيفة يأخذها إلى المدينة. ثانياً أن تقهره من

أول ليلة فى جميع الاتجاهات ثالثاً أن تروضه بالجنس الحقيقى الذى تعلمته من خلال الكتب رابعاً أن تسيطر على المال من أجل الدروس الخصوصية والتى من خلالها سوف تكمل دراستها الثانوية ثم الجامعية. خامساً أنها يجب أن ترهقه فى العمل ليل نهار فترة عمل صباحية وأخرى مسائية حتى تضمن أن يجىء إليها ليلاً متعباً فترويه فى السرير الارتواء الذى يكون القوة الدافعة لممارسة نفس العمل دون ضجر فى اليوم الثانى، سادساً يجب أن تدربه على ممارسة الشذوذ الجنسى وبإتقان حتى إذا ما تذوقه وأدمنه لا يمكن الاستغناء عنه وعليه هو أن يطلب وكل شىء له ثمن.

كل شىء اعد واصطف دقيقاً فى عقلها إذن وعندما جاء ماهر كانت فى منتهى السعادة فقد وجدت الرجل الذى سوف تسحقه.. جاء الرجل الذى هو فى محل أبيها من أجل أن تظلمه هى هذه المرة لا أن يظلمها.. صاحت جاء المطية.. هذا هو الرجل الضعيف الذى يتلصص إلى ساقيها وإلى النهدين والرجل الضعيف لا يهتم إلا بالجنس والرجل الضعيف يظهر فى شخصيته الضعيفة على الفور ويكون دائماً عن يمين أمه فصرخت (وكمان ابن امه رائع).. أخيراً

openkandil.com

جاءت إليها الفرصة. (ماهر) سوف يأخذها إلى المدينة ولسوف يجزل لها العطاء وهو ضعيف والضعيف شهوانى والشهوانى يمكن أن يساس فى أقل من ليلة ومن ثم فقد مثلت دورها القدير جيداً، تظاهرت بالطاعة العمياء للأم والزوج الجديد ووعدته عن طريق بعض ملابسها بأجمل الليالى وهكذا وقعت هانم فى فخ عفاف ومعها ابنها الجامعى ماهر.

فى ليلة الزفاف إلتقى طغيان عفاف بضعف ماهر كان ماهر يمنى نفسه بليلة رائعة يبسط فيها جناحه على (عفاف) ويحول نفسه إلى صورة طبق الأصل من أبيه ولكن الصدمة كانت كبيرة إذ أن عفاف رفضت الجماع وتعللت بأنهما على أعتاب حياة جديدة وأن هناك نظام لكل حياة وأن عليهما أن ينظما حياتهما أولا.. ثار ماهر وكاد أن يتهمها فى شرفها ولكنها كانت له بالمرصاد.. كانت تدرك أنها على أعتاب حياتها الجديدة فعلاً وأن ماهر يوشك أن يستسلم ولكنها لم تدرك السبب هو أن ماهر كان ابن وفى لبيوت الدعارة وهو من ثم ضعيف أمام الجسد العارى فضلاً عن ذلك فإن الشذوذ فى دمه لأن هذا هو الأصل فى بيوت الدعارة الذى يرتاده مع حبيبته سلمى. راحت تلف وتجور وتخلع ملابسها تارة

openkandil.com

وترتديها أخرى حتى أخذ ماهر يصيح (أنت لا تحبيني) فردت (اجعلنى أحبك)

- كيف؟

- الحرية

- أنا لم أقيدك

- أنت لست صريح

- أنا شديد الوضوح والصراحة

- ليس بالشكل الكافى

- ماذا تقصدين

- سأكون أنا صريحة معك.. أنا أخترتك لأنك ضعيف أوشك أن يصفعها ولكنها تفادت الصفعة.

- أنت كلبة

- أنا صريحة أنا قوية وأنت ضعيف، العقلاء الذين يخططون لحياتهم على أساس الصراحة

- أنا لست ضعيفاً.

- أنت شديد الضعف.. أنت ابن أمك

- كلبة.

obeikandl.com

- لابد أن تكون القيادة لى
- ماذا تقصدين بالقيادة
- الكلمة كلمتى (والشورة شورتي)
- هذا ضياع
- هذه هى الحقيقة... أنا أعرف ماذا تريد يا شقى

وهنا ابتسم.. ماذا تقصدين؟!

- أنت تريد الجنس...
- طبعا هذه طبيعة
- لم تفارق عيناك جسدى من أول يوم رأيتنى فيه.
- هذه حقيقة، (عفاف) أنا أحبك ولم أتخيل أنك بمثل هذا الجنون (عفاف) أنا الرجل ؟! الكلمة لابد أن تكون كلمتى.
- ماذا تريد من هذا الجسد؟
- عما قليل ستعلمين

كان الشغل الشاغل ألا تعلم (عفاف) بأمر علاقاته النسائية ولكنه أدرك فيها الذكاء والألمعية فخاف منها لأن هذا هو سره الأكبر.

- أشعر أنك زئر نساء.
- أنت تعلمين كل شيء يا عفاف... مصيبتى هى المرأة.. أنا

obeikandl.com

أعشق الجنس

- سأعطيك ما تريد وأعطنى ما أريد.

- هذا ترويض..

- ماذا تريد؟..

- كل شىء أنا سليل بيوت الدعارة.

- دعارة؟!

- أنا أيضاً لست سهلاً إلى هذه الدرجو أنا شقى وجسدك جميل ويعجبنى.

- ماذا تريد؟

- الشيطان ملعون وقد عودنى على ذلك.

- سرك فى بير

- أكيد يا عفاف.

- أكيد.

- أريد ما يسميه الناس الشذوذ – سذج – ليس شذوذ أنه الحب.

- وأنا سأعطيك كل شىء فى مقابل ما أريده.

- أنت تريدين القيادة وأنا لا أريد القيادة – خذى البيت كله.. لتكن الكلمة كلمتك (والشورة شورتك) ولكن عليك أن تحترمى كرامتى أمام الناس.

obeikandl.com

دع هذا إليّ.. كل ما تريده سأعطيه لك..

- الشذوذ.. كلام واضح وصريح.

- وأنا أريد منك أن أكون القائدة

- ليكن

- وأريد أن أكمل دراستى الثانوية

- محال

- هذا هو شرطى.. لابد من إكمال التعليم

كان ماهر يتخلص من أعباء الحياة.. هى تريد القيادة وهو يريد أن يعيش طائراً فى كل الوكور.. يريد أن يعطى الزمام (لعفاف) بعد أمه.. يريد أن يكون خالى البال متفرغاً لممارسة الشذوذ ومع الشذوذ.. الجنس كما رآه فى بيوت الدعارة.. لم تكن المعركة بعد ذلك صعبة فقد رضخ ماهر إلى عفاف رضوخاً كاملاً.. وافق تدريجياً على كل شىء.. التعليم والقيادة والمال والدروس الخصوصية والجامعة والخروج إلى المنتزهات وافق على انطلاق عفاف إلى الدنيا وهو معها ووافق على أن تكون القيادة لها فلا تسأله يوماً عن شىء يخص ذلك وهكذا تكون سيدة الدار وهكذا خرجوا بعدة قرارات أولاً ليكن جنساً مدوياً عمقه هو الشذوذ على أن يكون هذا سراً بينهما.

obeikandl.com

ثانياً أن يبدأ ماهر البحث عن عمل آخر غير عمله الحكومى ليعمل مساءاً وبالفعل وجد عملاً وهو عامل فى سنترال فى سنترال الحى تابعاً للقطاع الخاص.

ثالثاً ألا تأتى أمه إلى الدار إلا مرة واحدة كل شهر.

رابعاً: المال كله فى يدها وهى التى ستعطيه مصروف اليوم.

خامساً: التوديع التام لبيوت الدعارة وكل العلاقات النسائية مهما كانت إلا معها.

سادساً: أن تبدأ دراستها فى المرحلة الثانوية كدروس خصوصية مباشرة بعد شهر العسل. وقد تحقق لعفاف القطة المغمضة كل انتهازيتها وجبروتها فيما بعد.

وعاش ماهر من أجل ساعات الليل اليومية جنساً مع عفاف وقد استمتع بالعشق، ذاك الضعف الذى يجعله لا يتحمل المسئولية، كان شغله الشاغل هو أمه كيف يجعلها وهى التى ربته لا تمارس الضغوط والإرهاب ضد عفاف وكيف يقنعها بأن تزوره مرة واحدة كل شهر ولكن عفاف آتت بالفكرة فقد افتعلت معها سلسلة من المعارك أجبرتها على التراجع.

وقد استطاعت عفاف أن تفلت من المجالس العرفية التى

openkandil.com

أثارتها هانم ضد عفاف وقد لعب ماهر الدور الأكبر فى أن تحتفظ عفاف بكل قوتها عندما قال:

مريحانى لا أستطيع الاستغناء عنها كل ما كان يدهش عفاف أنها مع كل مرحلة كانت تشعر أن جبروتها وسطوتها فى الحياة ضد ماهر غير كافية خاصة أنه كان من دركة ضعف إلى أخرى ولكن الحياة كانت القوة الدافعة لصعود نجم عفاف وهبوط ماهر إلى الدرك الأسفل من الضعف.

وبعد ثلاثة سنوات دخلت الجامعة.

الثلاثاء ٤ / ٣ / ٢٠٠٣

obeikandl.com

(٥)
الوهم

لم يأخذ التفكير فى سياسة مصر والعالم من عادته التى دأب عليها سنواته الأخيرة وهى أن يلتفت يميناً ويساراً ثم إلى الخلف خوفاً من أن يكون مراقباً من جهاز المخابرات.. كان مستغرقاً فى تفكيره العميق وهو يدب الأرض بقوة وثورية مختلفاً إلى عمله فى يومه الأول.. كان خريج كلية الزراعة وقد كان كله طموح فى أن يحول مصر إلى جنة خضراء... أخذه تفكيره إلى الكرسى الذى يجلس عليه عبد الناصر فقد كان يعتقد أنه احق بالحكم من عبد الناصر سولت له ثوريته وتفكيره العميق وثناء كل من حوله عليه سياساً، سولت له ثوريته أن يعتقد أن مكانه الطبيعى هو كرسى الحكم الأول لأنه قدر فى هذا الزمان ولأنه القادر على تحقيق المعادلة الصعبة التى لطالما يسعى إليها الإنسان ألا وهى الحرية والعدل وحقوق الإنسان.. (حمزة) وقد كان هذا هو اسمه من

obeikandl.com

الثوريين المخلصين فى ثوريتهم والثوريين المخلصين فى تحديد هدفه فى الوصول إلى الحكم كحاكم لا كوزير أو عضو فى الاتحاد الاشتراكى مثلاً وهو من الثوريين الذين لا يحرمون العالم ومن كل حقوق الإنسان، والحرية والعدل. كان من التربية يعشق تحقيق الحلم الأكبر لدى أى شعب بتحطيم الوثن، وقد أدرك حمزة بان عبد الناصر وثن كبير وأنه قد أخذ الحكم من أجله هو فقط لأن من أجل مصر وأنه قد حول مصر إلى عبد الناصر من أجل أن يُعبد ومن أجل أن يكون كل شىء فى هذه البلاد. من هنا كان الصدام بين دولة بالكامل جوهرها النظام الناصرى وبين فرد وحيد اسمه (حمزة). ولكن حمزة لم يكن بالضعيف ولكنه كان يدرك أبعاد اللعبة فقد كان يصيب عن بعد لأنه أدرك أن الصراع مع السلطان دون نتائج سيكون نهايته المعتقل وهكذا فعليه ألا يصطدم بالسلطة ولكن عليه أن يعارض فقط وأن يحسن المعارضة وأن يجعل هناك خطوط رجعة له تكفيه شر الاعتقال. ولكنه تساءل (أين أذهب).. لا يوجد مكان غير مرصود.. الجامعة مرصودة.. اتحاد الطلاب مرصود

الشارع مرصود.. الأندية مرصودة.. الأروقة السياسية وصالوناتها

وجماعاتها مرصودة.. كل شيء قد احتوته المرحلة وهكذا أدرك حمزة أنه أمام عملاق رهيب يسمى النظام وأنه لا يملك أمامه شيئاً وهذا ما رسب فى داخله (الخوف).. من هنا أدار المعركة ألا يصعد من معارضته حتى لا يحدث الصدام وحثيثاً سوف تكون له مكانة تؤهله إلى أن يكون له كلمة مسموعة من خلالها يستطيع أن يواجه عبد الناصر نفسه.. حمزة أدرك أنه أمام عملاقين، العملاق الأول هو النظام البوليسى نفسه والعملاق الثانى هو شخص عبد الناصر الذى فى وجوده لا بديل يحكم فأين يذهب وهو الذى لابد أن يصل إلى الحكم، لأنه قدر السماء من أجل الحرية والعدل وحقوق الإنسان هتف (لابد أن تشرق شمس الحرية) هذا عار هذه وثنيه.. كل شيء يسجد له.. اغتال مصر.. اغتال العالم.. اغتال الفلاحين.. والعمال والطبقة المتوسطة ليحولها جميعها إلى عبد الناصر ؟! لا مصر ليست فرداً.. الناس لا تعلم الحقيقة.. السادة فقط هم من يعلموها.. لقد هُزمنا فى حرب العدوان الثلاثى ولكن النظام حولها إلى نصر، والجيش مد جسور فى اليمن والمعتقلات فى كل مكان.. الصحافة مؤممة والمال العام يهدر فى كل الاتجاهات.. ماذا بقى

لى؟! بل ماذا بقى لمصر والمصريين ؟! كل شىء هلك كل شىء تحول إلى شخص عبد الناصر وهكذا تم اختصار المكان والزمان والملايين من البشر فى شخص واحد.. وهذا هو المحال.. لابد من فعل شىء ما ولابد أن يكون الثورة المضادة اننى أكتب فى بعض الصحف كسياسى مغمور ولكنى سأقاومه.. لو كنت فرداً واحداً ما همنى الأمر ولكنى فرد فى أسرة ومعنى تصعيد الأمور معارضة لعبد الناصر ونظامه فلسوف يهلك أبى وتموت أمى وأُعتصر فى زنزانة صماء) كان هذا هو شغله الشاغل طوال السنوات الخوالى.. ماذا يفعل هل يُصعد مئات الأسئلة وعشرات التوقعات التى يتوقعها له ولأسرته.. ورغم ذلك كله كان يعتقد أنه سينتصر فى النهاية لأنه انتصر فى البداية.. فقد استطاع أن يكون وجهة نظر فى العالم مفادها أن عبد الناصر متأله وأنه أراد أن يحول مصر كلها إليه من أجل أن يصبغها لا بالإسلام ولا بالشيوعية ولا بالعلمانية ولكن باسمه هو وأن السياسات الثورية وإنغمادنا فى عالم عدم الانحياز ومجموعة ال ٧٧ ومناؤة أمريكا ما هى إلا سياسات استهلاكية لم تحقق الرخاء بل استهلكت رأس المال المصرى وأن هذه السياسات لن تحقق

الوحدة العربية لأن الوحدة العربية لن تتحقق بعد الفشل فى وحدة سوريا وأن ظل كل ذلك حرب اليمن الذى تتكبد فيه الدولة ملايين الجنيهات وآلاف الشباب خاصة أن الجبهة فى سيناء تحتاج إلى كل جهد.. كيف نحارب فى الجنوب ونترك الخط الكامن لنا فى الشمال ؟! كان ذلك جزء من فيض استطاع أن يصل إليه ولكنه لم يكن يصرح به على الملأ ولكن حثيثاً كان يشكك فى كل شىء كان استطاع أن يكون وجهة نظر سياسية تفسر كل ما يدور حوله وكان ذلك جوهره واستطرد أولاً: كان يعلم أن أمريكا ستظل عدوة لدورة إلى الشرق وستظل مخالفة مع إسرائيل وأننا رغم كذلك لا ينبغى أن نصطدم هذا الاصطدام الرهيب... ثانياً أنه كان يدرك أنه رجل الساعة وأن دخوله إلى أروقة الحكم قدر السماء، لأنه الثورى ولأنه المثقف ولأن مصر والشرق والعالم فى حاجة ماسة إلى نفس عادلة وإلى دستور وقوانين تتيح حرية الانتخابات وتعدد الأحزاب وتتيح المعارضة مثل معارضة الغرب وأنه هو الذى يستطيع أن يسمح بذلك وأنه بمجرد وصوله إلى الحكم لسوف يطبق الحريات ونظمها وهكذا كان كفيلاً بأن يوحد الشرق الظامئ للحرية.. ثالثاً

أن عهد الوثنيات قد انتهى وأن خير دليل على ذلك أن كل الثوار المتأهلين قد انتهوا نهايات أليمة.

وأن الإنسانية كلها قد عانت من هؤلاء الثوار أشد المعانات لأنهم ركبوا حركات ثورية صعنها من هم قبلهم ولكنهم أرجعوا الفضل إليهم فى كل شىء ثم فرضوا أنفسهم على العالم كآلهة لا تخطئ فما أن كان منهم إلا أن زجوا ببلادهم إلى أتون حروب رهيبة كانت فيها الكارثة وأن كل السابقين ومعهم جمال عبد الناصر ما هم إلا دجالون بل هم التمهيد لفتنة المسيخ الدجال وخلاصة القول.. وهذا ما يفكر فيه.. أن عصر الوثنيات قد انتهى مع نابليون بالتحديد لأنه اعظم حكم فى العالم ولأنه الوحيد الذى وحد أوربا وهى التى تتكلم عدة لغات وتترسم فى أشكال عدة.. بل هناك أكثر من ذلك فمع أن سقوط الوثنيات الدجالة قدر ومنطق فإن سقوط الشرق الشيوعى منطق لا لأنه ملحد فقط ولكن لأنه ضد أبسط حقوق الإنسان ألا وهى حرية التعبير وهكذا فإن سقوط الوثنيات ومعها الدب منطق سوف يفتح المجال إلى كل الثوار الحقيقين مثل (حمزة) للوصول إلى الحكم..

كانت هذه ثلاثة بنود من فيض قد فكر فيه حمزة طوال حياته المنصرمة ولكن حدسه أخذه إلى شيء آخر فقد كان يدرك أن كل ثورى دجال له نهايته فنابليون انتهى فى سانت هيلانة بعد هزائم ساحقة بدأت فى موسكو وهتلر سُحق حتى أجبر على الانتحار فماذا وكيف ستكون نهاية عبد الناصر ؟!! أخذه تفكيره إلى أن ثمة كارثة تنتظره وتنتظر مصر معه.. ولكن ما هى هذه الكارثة وكيف ستحدث لم يعلم.. كانت هذه هى الأفكار التى يفكر فيها ليل نهار، هو وأسرته ومصيرها والعدل وحقوق الانسان والمعارضة، والعملاقان اللذان يسحقانه شخص عبد الناصر والنظام ومدى ضعفه أمامهما. راح معارضاً لعبد الناصر ونظامه فى ذكاء حتى لا تتحول المعركة إلى المعتقل وإلى إذلال أبيه وأمه واخوته، وهكذا أدرك أن المواجهة بعيدة لأنه دائماً ما يضبط انفعاله وأنه قد أجّل هذه المواجهة طوال الخمسة سنوات السابقة واستقبل أول يوم من أيام العمل بكل ترحاب لأن عمله كان يفيده فى تنفيذ طموحاته.. كان يريد أن يتحول من طالب إلى موظف كأحد أفراد الطبقة الوسطى، يريد أن يتحول من مستهلك ومردد للأفكار إلى

منتج للأفكار وكانت أهم فكرة هى فكرة بناء السد العالى وما ستهب هذه الفكرة إلى مصر ملايين الأفدنة الخضراء. (حمزة) كان يمارس ثورية من خلال دراسته لأنه خريج زراعة ولأن البلاد فى حاجة إلى كل فلاح وإلى كل مهندس زراعى من أجل أن تزيد الرقعة الزراعية الخضراء لأن هذا هو المنطلق إلى مصر جديدة وهى الهرم فى قمة ثوريته وهو يدق الأرض فى ثورية معلناً أنه تحول إلى موظف كمهندس زراعى من أجل الثورة الخضراء تلك الثورة التى هى بمثابة قاعدة الانطلاق إلى مصر الكبرى العظمى، ولأن العمل من ناحية سيحوله من سياسى ثورى بلا مال إلى ثورى من أجل أن يحول الحب فى حياته إلى زواج.

كان كل شىء فى حياته ثورياً.. السياسة ثورة.. العمل ثورة.. الزراعة ثورة.. والحب أيضاً ثورة، أحب وداد زميلته فى الجامعة أشد الحب وتعاهدا على ألا يكونا إلا لبعضهما البعض رغم كل الظروف.. ولد الحب مع الجامعة وترعرع بالسنوات حتى صار حباً عظيماً أخذه من وحشة الوحدة إلى أنس الحب، وهكذا كان كل شىء فى حياته هادئاً، الثورة المضادة، المعارضة، المذاكرة فالنجاح،

الحب، تحويل السياسة إلى نشاط سياسى ومقالا فى الجرائد المغمورة والحب وتحويل كل ما سبق إلى عمل كمهندس زراعى فى وزارة الزراعة وحتى يتحول العوز إلى الثراء وقد كان، الشىء الذى كان ينغص حياته هو شعوره الدائم بأن يوم المواجهة قادم مع العملاقين النظام وعبد الناصر وأن يوم المداهمة له بيته ليلاً قادم وأنه لا فكاك من ذلك لأنه هذا هو قدره وأنه قد دخل إلى مجال السياسة الثورية بإرادته وعليه أن يتحمل النتائج، من أجل ذلك فقد كان كثير الالتفات حوله وكثير الانصات إلى الدرج ليلاً حتى يسمع الضباط القادمين إليه ليعتقلوه... كان كل شىء هادئاً ولكنه فى نفس الوقت متشحاً بالسواد لأن كل شىء مهدد ولأن حياته مهددة ولأن اليوم قادم لا محالة وأن عليه أن يستعد إلى الرحيل عن هذه الدنيا هو وأسرته وأن عليه أن يستعد أيضاً إلى الاعتقال حيث التعذيب الرهيب الذى احترفه الخبراء وهو أمام كل هؤلاء عاجز ولكنه صامد، ويخطط ويثابر ويحب ويمنطق كل شىء ويضع كل شىء فى موضعه ويحدد الخطوات الهامة واللازمة لكل مرحلة من حياته حتى يحول نفسه من السياسى الشرير إلى

السياسى العميق فى الجرائد اليومية ويحول نفسه من الحب إلى الزواج ولكن الشىء الذى انتظره أصبح واقعاً لأن الموقف لم يعد يحتمل الصمت فأخذ يجاهر فى بعض مقالاته البسيطة بالكثير من المعارضة لأنه يرى نفسه جزءًا من هذا البلد وهكذا فعليه أن يصيح عندما يرى الكوارث وعندما يرى مصر تحيد لأول مرة فى تاريخها عن اسمها وتحول كل شىء فيها إلى شخص واحد وكانت كلمة (وثن) هى الكلمة التى حركت ضده من يحمون الوثن وما هى إلا أيام حتى التقى برجل على قارعة الطريق، كان أشعث أغبر تعرف عليه وفى لمح البصر أعطاه أمراً أن يتوجه إلى مبنى المخابرات الداخلية فى الغد سيجد كل شىء معداً وأنه يجب عليه أن يلتزم. فى هذه اللحظة أدرك (حمزة) وكأن الشمس تشرق من المغرب لأنه أدرك أن هذه هى النهاية.. الشىء الذى كان يتحاشاه ها هو يحدث.. المخابرات تريد أن تقابله ومعنى ذلك كما ظن هو لأنه مراقب.. الأرض لم تعد كالأرض والدنيا لم تعد كالدنيا... كانت الساعة فى الخامسة عصراً وكان عليه أن يعود إلى الدار ولكنه آثر أن يودع الدنيا فى هذه الليلة.. هام فى الشوارع يودع كل شىء

وفى النهاية وبعد رحلة مشى طويلة جلس فى قهوته التى تعود أن يشرب بها الشاى.. كانت تأخذه سحب الريغ فكأنه منفصل عن الدنيا وعن الزمان وعن المكان، أدرك أن هذه المقابلة فاصلة وأنه لن يعود منها إلى منزله وأن موعدها فى الثامنة مساءً بالغد أى بعد أربعة وعشرين ساعة ولكنها بعد أربعة وعشرين عاماً.. أخذ يتمالك مع الشاى الثالث لم يخرج الورقة ويدون بها كعادته لأنه لن يترك دليلاً على ما فى رأسه من أفكار وكفاه ما قد كتبه عن الوثنيات فى مقاله الأخير فى الجريدة الشديدة التواضع.. أعتقد أن كل من الشارع يراقبه هذا النادل يراقبه.. ماسح الأحذية هذا الشاب وهذه الفتاة أين الذى لا يراقبه بل منذ متى وكل هؤلاء يراقبونه؟! حاول التماسك أكثر وأخيراً أدرك أولاً أن الكارثة قد حدثت وأن المواجهة قد حدثت بينه وبين الدولة.. وأنه مهزوم ثانياً أن كل خططه السابقة فى إزاحة المواجهة إلى أن يكون قوياً بالقدر الكافى قد انهارت وها هم يصطادونه وهو ضعيف سياسى على قارعة الطريق بلا حماية ثالثاً أنه مراقب منذ زمن طويل ولم يعد هناك أدنى شك فى ذلك.. رابعاً أنه سيعتقل فى أى لحظة ما لم

يكن بالغد.. خامساً أنه عليه أن يودع أمر أمه وأباه وحبيبته وداد.

وفى المساء اختلف إلى داره بعد تناول عشاءه فولاً فى الشارع وفى دقائق كان قد اختفى فى أعماق السرير وقد أنصت جيداً لوقع الأقدام إذ ربما يكونون قد غيروا رأيهم ويداهموه الليلة بدلاً من المقابلة غداً لم يكن هناك نوم فى هذه الليلة الليلاء، اعتصر تفكيره فراح يتذكر كل حياته منذ أن كان صغيراً يحبو إلى الآن.. تذكر كل شىء وأعاد تذكره لبعض الاحداث الغير مهمة ورتب حياته كمعارض ترتيباً دقيقاً فوجد أنه لم يصعد المعارضة إلا فى آخر ستة أشهر عندما صرخ بالوثنيات فى كل مكان لأن الموقف الذى تمر به البلاد موقف عاصف ولابد أن يتحدث، كان سيعتبر نفسه خائناً فى حق الضمير والإيمان ومصر مالم يجهر بأن عبد الناصر يريد أن يوثن نفسه فيتحول إلى المرجعية والقانون وهكذا تنتهى المعارضة ومعها مصر.

أدرك الخطر الداهم الذى هو فيه وساعتها أدرك أنها النهاية..

على الطرف الآخر كانت المخابرات قد حسمت الرأى فى حمزة بأنه غير خطر على النظام إلا بالقدر الذى يحدده هو وأنه له ميول

ثورية منذ ان كان بالجامعة وأن الموقف لا يتعدى إلا قرصة ودن صغيرة لا أكثر ولا أقل.

فى تمام الثامنة كان (حمزة) فى مبنى المخابرات وقد اعتصره الألم والقلق والخوف وما هى إلا ساعة حتى صعد إلى الضابط وهو عصف مأكول، الموقف كله لم يزد عن الساعة، كان الحديث فى كل شىء تمر به مصر وأثناء الحديث لم يكن حمزة يتلقى إجابة عن سؤاله (لماذا أنا هنا الآن)؟ كان الضابط يلف ويدور ويتحدث عن الإخوان والشيوعيين والأقباط وعن الأخطار التى تدور فيها مصر وأن مصر مستهدفه وأن كل شىء واضح أمام النظام وأن المخابرات يقظة ولسوف تخرج مصر منتصرة فى كل حروبها ولكن الضابط فعلها به فقد رآه وقد عصف به القلق وعلى الفور عرف المسلك الذى يستطيع أن يحطمه به، إنه الشك، خاصة أن الشك كان الوسيلة التى من خلالها يستطيع أن يغرقه فى الخوف فيروح بعيداً عن المعارضة الضابط – الذى لم يقل له رتبته كان يريد أن يبعده عن المعارضة وإلا كان سيبعث به إلى المعتقل إذا ما تأكد له أنه ثورى عنيد وهكذا فخطة (حمزة) كانت ناجحة وهى

تكتم الثورية وتنقيط المعارضة مع التصعيد فى المكانة لأنه كان مدركاً (الخطر). الضابط لمح الخوف الشديد فى قسمات وحركات وعنيا (حمزة) فأراد أن يسكب النار إلى النار فإذا به يدلف إلى بعض أخبار (حمزة) وبعض الحوادث التى حدثت له فى الجامعة.. الضابط واجه (حمزة) ببعض أفكاره وبعض كتاباته التى لم يقرأها عليه بل حدّثه بها، كانت الأفكار أفكاره وكانت بعض الأفكار التى قيلت على لسان الضابط هى معلومات تحليلية قد حللها مستشاروا المخابرات وهكذا استطاع الضابط أن يوهمه بأن هذه الأفكار الخاصة – والتى لم يقلها حمزة إلى أحد بأن هذه الأفكار أفكاره وكان يزداد فيها كلما امتقع لون وجه حمزة ثم داهمه بالعديد من الأسئلة حتى لا يدع له فرصة ليتذكر من الذى أعطى المخابرات هذه المعلومات عنه الضابط استطاع أن يوقع (حمزة) فى دائرة الشك وقد استطاع من ناحية أخرى أن يعلم بأسلوب الهجوم عليه بالسؤال استطاع أن يعلم إذا كان معارضاً أصيلاً أم لا وقد كانت الحالة واضحة أنه مجرد معارض ولكن ليس بالخطر الداهم الذى صورته التحاليل من قِبل العناصر.

أحدثت هذه المناقشة الكارثة فى قلب (حمزة) فقد كانت بعض الأفكار التى ساقها الضابط هى أفكاره السرية خاصة عن كراهية عبد الناصر وهكذا استطاع الضابط أن يغرقه فى الشك ثم أدار الحديث باللباقة المخابراتية من أجل التهديد بأن كل من يخرج عن النظام فلابد أن يجىء إلى هنا ولابد أن يلقى المصير المحتوم لأن مصر تمر بالمرحلة العصيبة فى جميع الاتجاهات ولابد أن تحكم بقبضة من حديد. لم يكن الحديث به أدنى إتهام ولكن الحديث كله كان مجرد مناقشة خرج (حمزة) من المكان بشعور المولود الجديد ولكن المقابلة أحدثت فيه الانغماد فى الشك والخوف.. فى بداية الأمر كان متوتراً، ذهنه مشتت وهكذا أخذ يهيم على غير هدى فى شوارعه وفى النهاية وجد نفسه على كرسيه فى القهوة وقد بدأ يرشف فى الشاى.. بدأ يحلل كل شىء حوله، كان قد أدرك أنه مهزوم وأطلقها جملة مريرة (هزائم - هزائم - هزائم) (دائماً هزائم) أدرك حمزة أنه مكشوف تماماً وأنه مرصود منذ أن كان بالثانوى وأنه خطر داهم على الدولة ولكن الحقيقة أن حمزة قد احتواه الخوف والشك فإذا به يسقط فى دوامة الخوف المستطير.

كان حمزة يدرك خطورته هو على الدولة الناصرية بالكامل ولكن الدولة لم تعتبره كذلك إذ أمر الضابط بالمراقبة لمدة أسبوع واحد فقط وهكذا فقد أدرك الضابط أنه قد نال منه وأن مقالاته سوف تتحسن فيما هو قادم وأن حديثه عن الوثنيات وخلافه ما هو إلا شطحة من شاب صغير ليست منه خطورة ولكنه إذا أصر على أن يكون معارضاً ممعناً فى الحديث عن الوثنية فلابد من التصعيد حتى الاعتقال والقتل إن لزم الأمر.

هكذا كان حمزة فى واد وكانت الدولة فى واد آخر..

الحدث كان أكبر من ان يتحمله حمزة لأن الضابط أوحى إليه بأنه مخترق تماماً خاصة عندما زج الأفكار التحليلية من علماء الدولة فى علم النفس كأفكار قد استقاها الضابط وجهاز المخابرات من قبل عناصره وهكذا تساءل حمزة بعد أن وقع فى الشرك وقد انغمد فى الرعب والشك، تساءل مَنْ؟ من الذى قال له كل هذه الأفكار؟! من الذى حدثه عن طموحه الثورى؟ من الذى حدثه عن كراهية عبد الناصر؟! من الذى قال له التفسير الحقيقى لمعارضته وهو أنه يطمح فى الحكم كشخص؟! كان كل ذلك كالصاعقة مما

أصابه بالشلل، بكى فى وحدة وهدوء ولكنه أخفى دموعه سريعاً.. بعد ساعة ونصف الساعة بدأ يتماسك فأدرك أنه خطر داهم على الدولة الناصرية وأنه مراقب مراقبة لصيقة منذ أن كان فى الجامعة بالتحديد وأنه لابد أن يعرف من الذى سرّب أفكاره.. أدرك أن هناك تفسيراً آخراً وهو أنه لابد أن يكون حوله من يتعامل مع المخابرات الناصرية، وأن فائدة هذه الشخصيات هى التحليل النفسى والتحليل الفكرى له بحيث يكون من السهل على المخابرات الناصرية أن تصل إلى أعماقه وأن تصل إلى بنات أفكاره وأن المسألة ليست إلا الاختراق من أجل التقرير ولكن المسألة هى اختراق من أجل التحليل الإنسانى.. الحقيقة أن هذه كانت بدايات الوهم لأن الخوف والشك فى الدولة البوليسية قد احتواه وعصفا به وقد أسلماه هذا الخوف وهذا الشك إلى اعتاب الوهم خاصة أنه كان يدرك فى أعماقه أنه خطر داهم على الدولة الناصرية لأنه معارض فى اتجاه كرسى الحكم وليس مجرد معارض من أجل الحريات أى أنه معارض داكن يسعى للثورة وليس أقل من ذلك وكان هذا الشعور هو الذى يغذى الخوف والشك.. أخذه ذلك إلى التصميم

على المنازلة لأنه شجاع.. كانت اللحظة لحظة فريدة فى حياته لم يسلمه الخوف إلى العجز ولكن الموقف برمته أخذه إلى التحدى وتحدى عبد الناصر نفسه.

أدرك أنه لن يتنازل عن المعارضة الثورية ولكن التكتيك سيختلف ومع كل ذلك أسلمته الصلابة إلى صلابة أخرى فقد قرر (لن أنهزم مرة أخرى) وهكذ قال كلمتين بينما يرشف الشاى (الرد والحقيقة) وكان عليه أولاً أن يعرف الحقيقة تلك الحقيقة التى قد ظللها الضابط بظلاله وهى الحقيقة الممزوجة بالوهم الذى يغذيه الخوف الشديد والقلق الرهيب وتحت بند الحقيقة أخذ يقول أولاً: أنا المعارض الأول للدولة الناصرية وعدو لدود لشخص عبد الناصر نفسه.. ثانياً: أننى أنا الذى أستحق الحكم ولسوف يتم ذلك ثالثاً أننى مراقب من الحقبة الجامعية وكذا التليفون رابعاً: أن كل من حولى يعملون لخطورتى – مع الدولة ضدى حتى وداد هى الأخرى ذيل من ذيول الدولة.. سقطت هذه الحقائق على رأسه كالصاعقة لأنه أدرك فى حياته الخيانة فقد كان كل أصدقائه خونه وقد كان حبه عاراً لأنها عين من عيون الدولة وأنها هى التى

اخترقته الاختراق الأكبر لأنها هى التى تفهمه الفهم الأكبر؟!!

كان وقع تفكيره المريض رهيباً عليه لأنه معنى ذلك أن كل حياته السابقة كانت خيانة.. حياته التى عاشها مع أصدقائه ومع حبيبته كانت مكراً وخداعاً.. الضحكات لم تكن ضحكات، المواعيد لم تكن مواعيد، اللحظات الحلوة لم تكن لحظات حلوة بل كانت استدراجاً له.. كل شىء ضال ومزيف وهكذا أحال حياتنا جمال عبد الناصر أحال حياتنا إلى الجحيم.. أحال الصديق إلى خائن وإلى الحبيبة إلى دجالة وهكذا أسلمتنا الدولة الناصرية إلى الوحدة.. الأصدقاء دجالون كذابون.. عملاء والحب كاذب مخادع وأنه هو الثورى الأول المخلص ولكنه الآن مكشوف ومخترق ووحيد وأن عليه الآن أن يكون فى مثل خطورة الموقف فراح يتذكر من حياته كل لمسة وهمسة وكلمة.. راح يراجع عشرة سنوات من الصداقة وهكذا أسلمه تفكيره إلى أن الكل خائن!؟

أدرك مدى ضعفه أمام شخص عبد الناصر وأن عبد الناصر قد خدعه لابد أن يرد عليه هذا يستلزم التكتيك كان عليه أن يلملم عالمه المبعثر فى كل الاتجاهات وكان هذا العالم هو قلبه وكان عليه

أن يسحق قلبه فقرر الآتى:

أولاً: العزلة والوحدة لأن الماضى كله اختراق وأن كل صداقة جديدة ستأتى بالخيانة والاختراق لأن الدولة الناصرية ستجندها ضده وهكذا فقد كتبت علينا الدولة الناصرية العزلة والوحدة وآلامها.

ثانياً: إعادة تذكر الحياة السابقة كتابياً والوصول إلى من الذى فسر للدولة الناصرية أفكاره الخاصة للوصول إلى علم تام حتى الأقرب وهذا يستلزم تذكرة الماضى وتذكر الهفوة والكلمة والضحكة حتى يعلم كل ما قد سبق وكيف تم هذا الاختراق.

ثالثاً: انتهاء حب وداد فى أسرع وقت وبمنتهى القسوة وتحريم الحب تماماً لأن الحب سيؤدى إلى الاختراق وتأجيل الزواج إلى أجل غير مسمى لأن الارتباط يعنى الاختراق.

رابعاً: إنهاء الكتابة والنشاط السياسى إلى أجل غير مسمى إلى حين التماسك وفهم الموقف الحالى.

خامساً: عدم إخبار الأسرة بأى شىء لضمان عدم تسريب الأخبار والنأى بهم عن الآلام بكونه مستهدف من قبل الدولة وهذا يزيد الآلام آلام لأن هذا يزيد الوحدة.

سادساً: عدم السماح بالخديعة مرة أخرى بأن يفكر فى كل شىء مهماً كان من كل من حوله لأن كل من حوله محاولات اختراق الدولة.

سابعاً: تكوين العالم الخاص من الموتى أى المؤلفين وذلك بالقراءة.

ثامناً: الرد.

كانت الصدمة قاسية حولته من فرد اجتماعى إلى كيان منعزل بعيد كل البعد عن المجتمع لأنه قرر ألا يُخدع مرة أخرى... الوهم أخذه بعيداً فى أعماق العزلة مغذياً إياه بالحسرة لا لأنه انهزم فى معركته مع الدولة ولكن لأن الثمن كان فادحاً لرد الشرف ألا وهو كل الأصدقاء ومعهم كل الذكريات الجميلة، ففى لمح البصر تحول كل شىء جميل إلى قبيح وتحولت الصداقة إلى خيانة وتحولت أجمل أيام العمر إلى أسوء أيام العهر وفى نهاية كل ذلك كان لابد أن ينهى الحب وبكل قسوة ولا يلتفت إلى نظرات وداد الشريدة المذهولة وهو يردد فى نفسه ممثلة. ولكن الحقيقة كانت على عكس ذلك كان كل أصدقائه فى منتهى الوفاء إليه وكانت وداد نعم الحب ولكن الخوف والشك أسلماه إلى عالم من جحيم ألا وهو عالم العزلة والضجر.. عالم بلا حب بعد كل الحب وهكذا أسلمه

كل ذلك إلى الموتى فراح يكون عالم من أصدقائه السياسيين ممن ماتوا فأخذ يقرأ لأرسطو وأفلاطون وجوته وأخذ يقرأ دون كتابة لأن كل كلمة يكتبها ستكون ضده فى يوم من الأيام لأن الاعتقال قادم قادم وأن هذا هو طبيعة العصر الذى يعيش فيه الأحرار فى ظل الدولة البوليسية. استطاع بدبلوماسية هادئة أن ينأى عن الجميع خاصة فى عمله الذى ينكب فيه على العمل بشراهة حتى لا يدع موظفاً آخر يأخذه إلى الحوار.. تحول إلى شخص عمره ألف عام لأنه مهزوم أمام خصمه اللدود جمال عبد الناصر ومع الأيام استطاع أن يلملم كل ما حوله من أحداث ويتأكد بعد أن يلوى الحقائق إلى ما يريده أن كل من حوله ما هم كلهم إلا وسائل لاختراق الدولة له لأنه المعارض الأول فى مصر ولأن الدولة تعلم أنه أحق وأجدر بالحكم من عبد الناصر ولكن الظلم ظلم وهم لن يوافقوا على ذلك لأنهم يستفيدون من مواقعهم الكثير.. المال والسلطة.. كان احساسه العميق بالهزيمة يحيل حياته إلى المرارة ولكنه لم يكن يعرف كيف يرد. مع الأيام أخذت الطمأنينة تتسرب إليه مما ألهمه بعض التفكير، كانت الثورية بداخله تتلظى وتعذبه

لأن الثورية لا تحد ولا تنتهى ولا تعترف بالهزائم لهذا فالثورى هو الشخص الذى يستطيع أن يبدأ من جديد فى كل لحظة وبعد أشد الهزائم، وهكذا أخذته الثورية إلى ضرورة الرد وإلى ضرورة أن يكون الرد عميقاً وأخاذاً وحقيقياً ومفيداً. فكر أسابيع العزلة فى هذا الرد وأسلمته حالته إلى ضرورة الانتحار فقد أدرك من الحياة أنها تافهة وأن الموت أكثرا احتراماً من هذه الحياة.. الأصدقاء أصبحوا فى عداد الموتى وقد أخذوا معهم الحياة الجميلة والذكريات الحلوة.. والحب طعنة نجلاء إلى القلب والعزلة طوق فولاذى رهيب يأخذه إلى كهف مظلم هو الحياة.. الحياة تحولت إلى سجن رهيب يقف على بابه عبد الناصر ليحوله إلى أشد سجن فى الوجود وكانت قيود السجن هى خطب عبد الناصر نفسها التى تكبل الأمة أكثر فأكثر وتزيد من قيود حمزة أكثر فأكثره لابد أن يرد ولابد أن يكون الرد فى محله ولابد أن يكون الرد لنده عبد الناصر لا للمخابرات ولا لأى جهة أخرى.. وهكذا قرر أن يكتب إلى عبد الناصر رسالة كان عنوانها الكارثة كانت الرسالة كل مواد حمزة فى ثورية عارمة.. كان بها يعلن أنه ند لعبد الناصر وأن هذا معناه النهاية ولكنه كثورى

أصيل وند قوى قد أخذته الهزيمة الاحترافية على حد تفكيره كان لابد أن يرد كانت الرسالة فى صفحات طوال وقد تضمنت عدة معانى أنه دكتاتور ومتأله (هكذا) وأن عمق نظرة حمزة تقول أن الكارثة قادمة.. كتب حمزة الكثير عن هذه الكارثة ولكنه وضح فى الرسالة أن كل دكتاتور لابد أن تنتهى حياته بكارثة في حق نفسه وفى حق أمته ولكن حمزة لم يستطع أن يحدد فى أى اتجاه ستكون الكارثة.. عندما أتم حمزة الكتابة كان يشعر بالقوة لأن هذا هو الرد الذى يجب أن يرد به وأن شخص عبد الناصر هو الشخص الذى يجب أن يرد عليه لأن حمزة هو الأصلح للحكم وأن الحكم سيسعى إليه فى يوم من الأيام.. ساعتها استرخى وابتسم بعد طول عبوث مع الوحدة القاتلة بلا حب ولا ثورية وبلا ارتباط بالأروقة السياسية. دفن الرسالة فى مظروف وأودعها صفحة مكتبه وراح فى تيار عميق من النوم ممنياً نفسه بالمعتقل لأن هذا هو الرد الوحيد الذى يجيده عبد الناصر وأن هذا هو السر الوحيد الذى لابد أن يتأتى من متأله وأن هذا هو اختيار حمزة لأنه لابد أن يكون صادقاً مع نفسه مبشراً بالعدل وحقوق الإنسان والحرية

ضد الحاكم نفسه وهذا هو دوره الذى اختاره بأن يكون سياسياً معارضاً وعليه الآن أن يضمد جراحه وأن يستعد للموت بكل الرضا لأن ما فعله هو ما يجب أن يفعله بأن ينادى بالحرية من قِبل الحاكم وأن ما فعله هو ما يرضيه كخصيم شخصى لمن حول الدولة المصرية إلى معتقل كبير. إلا أن القدر رحمه من هذا المصير فأرسل أباه إلى حجرته ليطمئن عليه فإذا بالأب يلقى بالكارثة وهو خطاب إلى القصر الجمهورى فأدرك الاب أن إبنه السياسى المغمور على وشك النهاية فإذا به يلتقط المظروف ويفضه فى سرعة تحت تأثير دخان البراد ويقرأه... صُعق الأب فقد كان ظنه فى محله وعلى الفور أبدل الخطاب بخطاب تأييد ودفن الورقة فى نفس المظروف.. فى الصباح كان حمزة فى طريقه إلى صندوق البريد يدفع بالمظروف إلى الصندوق وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله) بينما الأب مع الام يصارحها بالحقيقة.

كانت هذه نقطة فارقة لأن حمزة شعر بالارتياح لأنه فعل ذلك فقد أرضى ضميره وسحل عبد الناصر سياسياً خاصة أن لحمزة آراء سياسية ثورية كبيرة أعجب بها بعض كبار السياسيين من قبل،

ولكن الأمر تعدى ذلك إلى الأسرة التى راحت تدبر لتأخذ حمزة من وحدته فى هدوء وبالفعل راحت الأسرة تمهد له بأمر الخطوبة ولكنه رفض رفضاً رهيباً فراح الأب والأم يهرولان إليه فى الصغيرة والكبيرة حتى لاحظا التحسن.. كان الأب يدرك الحقيقة وهى أن حمزة ثورى وأن الحكم من الحديد والنار وأن عبد الناصر قد اغتال الأمة وحولها كلها إلى قطيع يهتف له.. كان الأب فى قرارة نفسه فخورا بإبنه لأنه يرسل رسالة إلى عبد الناصر بها الكثير من الآراء السياسية الصحيحة بل ويأمره بأن يلتزم بحدود الإنصاف والعدل وكان الأب يعلم كيف أن حمزة عنيد ولكن كان لابد للأب أن يكون فى مستوى خطورة الموقف فواجه الابن بأن أكد له أنه قد وجد رسالة لعبد الناصر وأنه قلق بخصوص هذا الشأن.. دار حوار طويل بين الأب وابنه كان مفاده أن أقنع الأب الابن ألا يكتب لعبد الناصر بعد الآن لأن رسالة واحدة تكفى وأن الكتابة له لن تحل المشاكل لأن الأمل فيه مفقود والواقع أن حمزة لم يكن ليكرر التجربة لأن رسالة واحدة تكفى الرسالة حولته من قلق إلى القلق ومن الخوف إلى الرعب لأن الرد تأخر.. كان يتوقع الرد

فى خلال ثلاثة ليال ولكن عدم الرد وصل الآن إلى شهور فأدرك أن الرسالة إما لن تصل وهذا محال لأنه مراقب وإما أن الرسالة كانت أقوى من الظلم.. فكان الرد الصامت يحيله إلى الجنون والمزيد من الوحدة والمزيد من المشى فى الطرقات ليودعها والمزيد من أكواب الشاى فى قهوته متفكراً آملاً فى يوم من الأيام أن تنزاح غمة حكم عبد الناصر ويمشى فى يوم من الأيام مع حبيبة مخلصة على قارعة الطريق وأمام الناس. كانت نفسه تتوق إلى الحب ولكن الزمن لم يكن زمن الحب خاصة بعد أن حرص على ألا يُخدع بعد ذلك مرة أخرى. تنبأ حمزة فى الخطاب الذى مزقه أبوه له بالكارثة ولكن لم يكن يعلم أنها أكبر كارثة حلت بمصر فقد كانت الكارثة كما توقعها حمزة هى هزيمة الخامس من يونيه عام ١٩٦٧ كان الخطب فادحاً لأن نظام عبد الناصر شىء والدولة المصرية شىء آخر.. أخذته المرارة إلى البكاء وأخذته الهزيمة إلى مزيد من العزلة لأنه أدرك خاصة بعد التنحى أن النظام سيكون مسعوراً ضد المعارضة.. كان بالأمس الضياع ضياع فردياً ولكنه الآن ضياعاً فريداً على مستوى الأمة المصرية والعربية والإسلامية.. ذاك

الضياع الذى حول إسرائيل من قبيلة بنى يهود إلى دولة كبرى منتشيه بالانتصار الكبير.. بكى حمزة كما لم يبك من قبل وأخذه الخوف أكثر لأن النظام كان قد تصدع ودب الخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة الواحدة وراح المشير عامر ينقلب على عبد الناصر ليذوق الجميع المزيد من الأسى والمرارة والهزيمة وينتهى كل ذلك إلى مذبحة أخرى لبعض قيادات الجيش وانتحار المشير عامر.. كان كل شىء يتشح بالسواد وكان لابد للوهم الرهيب الذى سيطر على حمزة أن يأخذه أكثر فإذا به يفسر الوضع الحالى للنظام أنه فى حالة اهتزاز شديد وأن الاتحاد الاشتراكى يترنح وأن المنظومة الداخلية للنظام تتجدد ولكنها تكشر عن أنيابها أمام كل المعارضين وقد أنعكس ذلك سلباً على حمزة لتوقعه المزيد من الاختراق فإذا به يتهم اخته بينه وبين نفسه بأنها عميلة للمخابرات وأن عليه فى هذه المرحلة السوداء أن يتجرع أكثر مرارة الوهم ومعه الهزيمة. كانت أخته سلمى بريئة من هذا الاهتمام ولكن كون الأمر سر فلم تعلم به الأسرة وهكذا فقد تكتم قلبه المزيد من الألم لأنه لم يحب كما أحب أخته سلمى فنعتها بالخائنة الكبيرة وأن هذا هو

أوان العهر والظلم وأن هذه هى مرارة الهزيمة الحقيقية هى فى وجود الدولة الناصرية التى حولت الأصدقاء إلى خونة والحب إلى اختراق والاخت إلى عميلة سرية ضده ليسقط مع هذا المعنى كل احترام له فى الحياة ويروح فى غيه إلى أن يتملكه الوهم تماماً فإذا به ينعزل أكثر وأكثر ويبكى أكثر ويتألم أكثر ويستشعر الخطر أكثر فيصمت أكثر ويمنع آرائه السياسية عن الجميع بما فيهم أسرته وهكذا شعر أنه محاصر فى جميع الاتجاهات فى الشوارع والدار والأسرة والعمل وهكذا ضاقت الدائرة بأن اتسعت دائرة الاختراق فى تفكيره فإذا بالآلام تعتصره وإذا به يكره عبد الناصر الكره الأكبر لأنه فرق بينه وبين أفراد أسرته وبينه وبين الحب وبينه وبين الأصدقاء وبينه وبين أجمل أيام العمر بل بينه وبين الدنيا بأسرها.

كان النظام فى هذه الآونة يحاول لم الشمل مرة أخرى تمهيداً للمعركة وهكذا فقد كان لابد من تطوير سياسى وكان الشباب هم أول من يجب أن ينظر إليهم نظرة الاعتبار ولا شك أن الخطاب الذى كتبه الاب بالتأييد لعبد الناصر كان له الوقع الرائع فى الدائرة المخابراتية التى تتابع حمزة تلك الدائرة التى اندهشت لماذا انعزل

حمزة بعد الخطاب فأدركوا أنه يريد أن يصلح الأمور مرة أخرى من أجل ذلك فقد قررت المخابرات اللقاء به تمهيداً لكسبه فى معركة الصمود ضد إسرائيل خاصة أن حمزة كان يحمل شخصية قيادية لا يجب تركها.

فى نفس القهوة فوجئ بمن يجلس بجانبه ويحدد له موعد مع المخابرات.. كان هذا هو الموعد الثانى ولكن حمزة لم يكن يدرك السبب فى المقابلة كان يعلم أن النظام يلم الشمل وأن هذا ليس صعباً من أن يستنبطه حمزة وقد صار بالقراءة أكثر حصافة ولكن هذا لا يكفى لأن النظام لن يجازف بأن يجنده وهو المناوئ له وهنا أخذه التفكير فى الرسالة التى كان قد كتبها منذ شهور إلى عبد الناصر وقد أدرك أن هذا اللقاء من روح هذه الرسالة فأخذت بعض القوة تتسرب إليه. أدرك لابد وأنه حقق بعض الانتصار بالرسالة لأنه توقع الكارثة وقد حدثت.

أدرك حمزة مع تحليله الذى كان قد كتبه أنه فى منتهى القوة وأن موقفه هو موقف المناضل الشريف وأنه صاحب نظرة سياسية

عبقرية وأن مكانه الوحيد هو مكان عبد الناصر كان تحليله فى الرسالة سليما وقد دعمه تاريخياً وانسانياً وسياسياً وقد حدد كل شىء بأن هناك كارثة تنتظر الدولة بأسرها وأن هذا التفكير تفكيره وأنه يكاد يكون الوحيد فى مصر والعالم الذى تنبأ وسط هذا الزخم من الناصرية والتصفيق لها بالحقيقة وهى أن هذا التصفيق والضوضاء واللغط إنما ليخفى النظام به العورة وهى الضعف وأن كل السياسات العالمية التى انتهجها النظام والتى أنفق عليها كل رخيص وغال إنما هى سياسات من أجل التصدى لإسرائيل ولكن الجبهة ها هى فارغة أمام إسرائيل فى سيناء، وأن كارثة حقوق الإنسان أى العصف بها والظلم بها وتحويل الإنسان إلى قرد يصفق يحول الإنسان فى النهاية إلى مجرد مخلوق سطحى مهزوم.. أدرك حمزة فى هذا التحليل العبقرية السياسية تلك العبقرية التى جعلته يتأكد من أحقيته إلى السلطة لأنه الذى يستطيع أن يحقق العدل فى عالم يحكمه الجور الرهيب.

هذه المقابلة مع جهاز المخابرات تمت تحت مرارة الاختراق الكامل كما صور الوهم لحمزة ولكن كان هناك ما يفخر به حمزة ألا وهو

رؤيته الصائبة بالكارثة وهكذا فقد ذهب هذه المرة كفارس جريح ولكنه ليس مهزوماً أمام الدولة الناصرية الهزيمة الكاملة السابقة...

كانت الهزيمة من إسرائيل تفتت فى عضده لأنها هزيمة قاسية ولكنه أدرك بحصافته وقراءاته أن هذه ليست هزيمة فقط ولكنه الانسحاب وأن الانسحاب يحمل أمارات الضعف وأن المسألة ليست الهزيمة العسكرية ولكن الأمر أشد من ذلك كثيراً أنه الآن الشيوعية التى يحكم بها عبد الناصر ومعها النظام كله.. هنا أدرك حمزة الضياع لأن النظام ارتبط معه فى شيوعية صرفه وأن الأمة المصرية عليها ربع قرن من أجل أن تكون نظام فى مثل قوة النظام الناصرى وأن هذا يكلف مصر الكثير من الوقت وأن النظام معزول عن كل القوى الكبرى اللهم إلا الدب الشيوعى الذى لا ينفق روبيه إلا بمقابل وهو الغلغلة الشيوعية للنظام نفسه كأفراد مسئولة عن السلطة والجيش معها وهكذا فإن الوقت الباقى من أجل الانتصار طويل وهذا هو الضياع السحيق الذى استشعره السياسى الثورى حمزة مما أذاقه المرارة كما ينبغى وهذا ما جعله يعدم كل احتمال للالتحاق بالنظام لأنه شيوعى ناصرى ولأنه لن يكون شيوعياً فى

يوم من الأيام ولتبقى الأمور كما هى ولكن الشىء الذى يجب أن يحدث هو أن عبد الناصر لابد أن يذهب لأنه ضائع ولأن البون شاسع جداً بينه وبين الانتصار وأمر الصهيونية واسترجاع شرف الجيش والتراب الوطنى (سيناء)

ذهب حمزة إلى نفس المبنى ولكن هذه المرة بانتصار له ضد النظام ولكنه ليس انتصاراً إذ أن به الهزيمة الساحقة وفى نفس الوقت مازال يعانى أمارات الاختراق فقد أخذوا منه الدنيا بأسرها وكان آخر شىء قد أخذوه هى حبة القلب سلمى.. كانت المرارة قاسية وكان مجرد رؤية اعدائه فى المخابرات تعصف بنفسه وتحطم قلبه ولكن لابد أن يطيع لأنه عالم يحكمه الجور الشديد.. كان اللقاء كما توقع ودوداً وقد أدرك مغزاه على الفور كان النظام يحاول لم الشمل وقد كان هو أى حمزة من هذا الإرث المفقود فى عالم الشباب.. استقبلوه بحفاوة وأشاروا إليه أن يعود إلى الكتابة وأن يعيش من جديد كما كان لأن مصر تريد أن تعيش من جديد وأنه لابد أن يعتبر أن هناك أصدقاء له فى النظام وأن النظام قد تغير لأن كل شىء قد تغير وأن الهزيمة لا تعنى النكوص عن

الخط الفكرى ولكن المسألة هى عودة الروح وأن الطرق أصبحت مفتوحة للشباب وأن المناصب مفتوحة أكثر أمام الجميع حتى لو كان المنصب هو الوزارة أو رئيس الوزراء المهم هو الكفاءة كان الحديث طويلاً وله العديد من الرؤى، الضابط لم يكن هو السابق وقد أراد أن يلهم الطريق إلى الكفاح ولم يكن يقصد أن يعرض عليه منصب رئيس الوزراء ولكن هذا ما قد فهمه حمزة.. أدرك حمزة أن النظام مهزوم تماماً وأنه يجرى إلى كل حدب وصوب من أجل لمحة انتصار ضد الصهيونية اعتبر حمزة هذا الانتصار انتصار تاريخى وأن عبد الناصر يعرض عِلية منصب رئيس الوزراء وأن هذا هو بداية الطريق إلى الحكم وأن هناك من فى المخابرات من يعلم ذلك ولابد أن يكون هو من عليه القوم وأنهم يستعدون لذلك... كان هذا اليوم من أسعد أيام حمزة لأنه تأكد أن حصافته السياسية وشجاعته قادته إلى طريق الحقيقة التى يستحقها ألا وهى الحكم..

الوهم كان شديداً والضياع أشد لأنه لا يتصور أن يكون رئيساً للوزراء فى نظام يحكمه عبد الناصر لأنهما يتكارهان ولأن عبد

الناصر وثن ولأنه معارض، كان الموقف رهيباً أخذ رونق الانتصار ولكنه ابقى الانتصار انتصار.. تطور الوهم إلى مرحلة أخرى إذ أسلمه تفكيره إلى أن عبد الناصر نفسه يحدثه دون أن يدرى عن طريق وسائل الإعلام وأن هذه هى الحيلة التى لجأ إليها النظام من أجل التفاهم والتصالح فإذا به يتابع عبد الناصر فى التليفزيون ويعتقد أنه بكلامه واستعارته يوجه له رسائل من أجل أن يقبل رئاسة الوزراء وتطور الأمر إلى أكثر من ذلك إذ أدرك أن النظام يحاوره فإذا به يتابع كل شىء حوله ويحوله إلى رسائل فالدراما موضوعات إليه واختيار الممثلين والممثلات رسائل إليه.. الوجوه التى يقابلها فى الشارع رسائل من المخابرات وكذا السيارات وأرقامها تدل على عدة مفاهيم أهمها أن عبد الناصر يعرض عليه الصلح وأن عبقريته هى التى أهلته إلى ذلك وأن عبقريته هى التى جعلته الوحيد الذى يتنبأ بالكارثة تلك الكارثة التى لم يتوقعها عبد الناصر نفسه ونظامه وهكذا سار حمزة هائماً فى الشوارع يحلل كل شىء...

هذا الوجه ماذا تعنى رسالة؟ هذه السيارة، من أى موديل وما لونها وما هو رقمها وماذا تدلل؟ هذا الطفل. هذه المرأة.. هذا

اللون.. هذا الراديو هذه الممثلة هذا الحب هذا الفيل.. كل شيء تحول إلى إشارات وعلامات ورسالات مما أنهكه تماماً وأغمده في وحدته يجتر آلامه.. وفي الخريف مات عدوه اللدود عبد الناصر فكان ذلك هو الضياع العميق لعدة أسباب:

أولاً: للضياع التام الذى انغمدت فيه الأمة لأن عبد الناصر لم يكن الزعيم بل كان الوثن الوحيد الذى سيأتى بالنصر ثانياً أن بديله كان السادات وهو الذى لم يكن أن يأتى النصر من خلاله ثالثاً أن موت عبد الناصر قد اعدم فيه القدرة على الوصول إلى الحكم كرئيس للوزراء وبعدها إلى رئيس الجمهورية هذا ما كان قد اعتقد فيه فانهارت نفسه لأن طريق الأمال قد سقط وانتهى وهكذا ضاع أمل العمر ومعه الانتهازية السياسية في أن يصل إلى القمة دون عناء.. وهكذا راح حمزة يهيم في الشوارع متألماً لأنه أعتقد أن المخابرات قد جندت ضده أخوه الأخير خريج كلية الحقوق (أحمد) وهكذا سقط كل شيء... الأصدقاء.. السياسة.. الحب... الأسرة.. الأيام الحلوة... الذكريات... الدنيا.. الحياة.. أدرك حمزة أن الدولة الساداتية قد صرفت النظر عن التحاقه بالنظام كرئيس للوزراء وأن هذا القرار

قرار خاطئ وأن الاختراق لابد أن يستمر وأن الدور سيأتى فى يوم من الأيام على الأب والأم.. وأن هذا كله هو ميراث الثورة حمزة ضائع بين كل الصفحات التى يقرأها أو لا يقرأ وأنه قزم صغير أمام الدولة كلها وأنه فى النهاية بعد كل أقاربه وأصدقائه وأحبابه وأسرته وحيد ومعزول وأن عليه أن يحل الرسائل التى يبعث بها النظام إليه على هيئة السيارات والوجوه والألوان وأن عليه أن ألا يُهزم مرة أخرى ما عاش وهكذا فإن عليه أن يكتب رسالة أخرى إلى السادات يحذره فيها من نفس النهاية ومن نفس الكارثة تردد كثيراً فى كتابة الرسالة ولكنه آثر أن ينتظر حتى يسبر غور رسائل المخابرات إليه عن طريق المسلسلات وهكذا ظل هائماً فى طرقات القاهرة لا يلوى على شىء.

٥ / ٣ / ٢٠٠٣ الأربعاء.

openkanal.com

(٦)
حامد

استعصى النوم على حامد فى هذه القيلولة داهمته فكرة أن صادق لن يحضر اليوم أيضاً رغم أن هذا هو الموعد الثالث.. راح يتقلب فى سريره يميناً ويساراً ولكن قلقه كان يزداد ضراوة وهكذا حال بينه وبين النوم.. قرر أن ينبذ النوم وأن يسلى نفسه ببعض الأشياء.. أخذ ينظف شقته الحجرتين وصالة فى سرعة لأن مسألة تنظيف الدار كانت من اشق الأشياء إلى قلبه كانت الشقة بسيطة وأثاثها بسيط فعلى سبيل المثال حجرة النوم ما هى إلا سرير متوسط المساحة ودولاب خشبى له باب واحد ومرآة بها الكثير من التجاعيد الفضية وقد شرخت من المنتصف.. حامد كان بسيطاً لأنه كان فقيراً ولكنه كان شهيراً جداً كما سيقدم، وبينما هو يمشط شقته البسيطة نظافة راح يفكر كما هو، أدمن التفكير فى أمر.. فقد ماتت أمه منذ العام ومنذ هذا العام وهو

obeikandl.com

يشعر بأنه فى عالم آخر الأيام لم تعد الأيام.. الزمن ليس الزمن والمكان ليس المكان.. شعر وكأنه قد انفصل عن الزمن وأن ثمة خللاً بينه وبين المكان.. شعر أنه قد فارق الدنيا وأن ثمة حائلاً يباعد بينه وبين السعادة، ولم لا وهى أمه التى كان يكن لها أكثر حب وتقدير نشأ حامد فى أسرة سعيدة لموظف بسيط وقد كان موقعه الثانى والأخير بعد أخ هو فى الأردن الآن يعمل محاسب فى إحدى الشركات الخاصة بعد جهد جهيد.. كانت حياته سعيدة تماماً فقد كان الأبن الأصغر وقد أشبعاه الوالدان كل رغباته ومن هذا المنطلق فإن حياته الأولى كانت سعيدة وقد امتدت هذه السعادة إلى الدرجة التى اعتمد فيها (حامد) على والديه الاعتماد الأكبر خاصة أمه وعندما نشأ حامد إلى العشرين فقد الاب اثر انفجار فى المخ أودى بحياته وهكذا تُرك إلى أمه التى بذلت كل مجهود من أجل إسعاده وقد كان..

كانت الأم تدفعه دفعاً إلى العمل والجهاد فى الحياة وقد استجاب الابن (حامد) لهذا أشد الاستجابة لأنه كان يريد أن يريح أمه من أعباء الحياة عن طريق خادمة على سبيل المثال وأن يغدق عليها المال فتكف عن المسألة لأخيها.. بعد أن حصل على

بكالريوس التجارة أدرك أن السفر قدره وقد شجعته أمه على ذلك كثيراً.. كان هذا اليوم الذى لا يمكن أن ينساه هو يوم سفره الأول إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية وقد غمر وجه الأم الدموع ولكنها الدموع الإجبارية فى هذا الزمن الصعب.. أتت الرياح بما لا تشتهى السفن فقد عانى الأمرين من زملائه فى العمل ومن صاحب العمل الذى كان دائماً فى محاولات مستمرة لحصد أموال من أصول رواتبهم ولكن شظف العيش بمصر أجبره على أن يتحمل...

نشأ (حامد) منذ نعومة أظافره ملبى الطلبات وهكذا فقد كانت صدمات الحياة له عصيبة والتى قد بدأت ببلوغه لأن بلوغ جسده النضج أجبره على أن يكون فى عمق الحياة لأن النضج الجسدى والنفسى والعقلى يجبرون الانسان على أن يمر بباب الحياة وهكذا فإن طبيعة الخلق عاكست ما قد شب عليه من ارتواء لكل رغباته دون مجهود منه... وكانت الصدمة الثانية عندما مات الاب وهو العمود الأول بالأسرة ارتكنت الأسرة إلى المعاش، هبط حامد من دركة إلى دركة من دركات الحياة الدنيا لتجبره الحياة على أن ينفض حياة الكسل ويتوجه إلى الحياه ينهل منها وتنهل منه هذه هى الصدمة الثالثة فقد سافر دون

رغبته لأنه يريد العمل فى مصر ولكن الظروف الاقتصادية أجبرته على ذلك أدرك (حامد) أنه جزء من منظومة مالية كبرى هو مجرد نقطة واحدة فيها وعليه أن يثبت وجوده فى مكانه وإلا فلسوف تطيح به، إحساسه الداخلى بأنه لن يكون إلا فى أمان أجبره على أن تصدمه الحياة، أعتقد (حامد) أنه أقوى من الحياة وأنه يذل ولكن الحياة أجبرته على أن يخرج إليها وفى قوة وأنه ما لم يخرج إليها مكافحاً عاملاً فلسوف تدوسه عجلاتها هو وأمه. فى نفس الوقت الذى لا تستطيع أمه – ولم تكن – أن تلبى له كل رغباته اقتلع نفسه من الدلع والوهن إلى القوة ولكنه كان لا يزال غير مصدق أنه قد تجاوز قارة إفريقيا إلى الرياض فى آسيا، وأنه قد ترك الحياة الأولى إلى الحياة الثانية وأنه قد أصبح عجلة فى ترس الحياة وهكذا عليه أن يدور بها حتى الراحة.

مرت السنوات ورجع (حامد) إلى أمه من أجل أن تفرح به وهكذا فى خلال شهور الإجازة الصيفية أستطاع أن يجد حبيبته النهائية بعد أن تنقل بين الأحضان والأحضان فى أحلامه ولكن هذه الخطبة وهذا الحب لم يستمرا لأن الأم المتيمة بالفكرة المصرية

obeikandi.com

الخالصة أوحت له بأن يشترى أرضاً ويبنى فيها عش الزوجية. اشترى حامد بكل ما يملك واستدان بمبلغ عشرة آلاف جنية أرض من أجل البناء ولكن بمجرد أن ودع أمه فى المطار صدر القانون العسكرى بمنع البناء على الأراضى الزراعية.. كانت خطته واضحة وهى السفر وقد تحقق للوصول إلى المال والخطوبة وقد تحققت ومعها الوصول إلى دفء الحب والأحاديث الخاصة فى المسرة وخطف القبلات والبيت وقد تحقق مع شراء الأرض والاستدانة ولكن القرار العسكرى أطاح بكل شىء لأنه قد اشترى أرضاً زراعية ممنوع بها البناء. كانت هذه هى الصدمة الثانية التى أتت عليه، فقد مرضت أمه بعد ضياع المال ومعه الاستدانة وضاعت أربعة سنوات فى العمل فى الغربة وضاع الحب لأن حامد قرر فى لحظة غاضبة أن يتحلل من كل عبء لأن الدنيا خائنة وأنه ليس على استعداد أن يستمر فى الحب وهو مدان وليس على استعداد أن يستمر فى ضغوطه النفسية مع أسرة خطيبته التى تلح عليه فى طلب المال لاتمام الزفاف. آثر حامد أن يبتعد عن كل الضغوط كعادته فانسلخ من مصدر القلق وهو الخِطبة واستمر فى عمله من أجل أن يدفع المبلغ الذى استدان به لتاجر الأراضى الشهير.. أخذته

الآلام لمفارقة الحب إلى الوحدة وإلى الزهد فى الحياة فقد أدرك أنه ضائع وصغير ومتلاشى فى هذه الدنيا وهكذا قرر ألا يستمر فى الغربة كان فى أمس الحاجة إلى مصر.. إلى فترة من الهدوء ورغم أن أمه قد حذرته من مغبة العودة ولكنه كان قد مل كل ما حوله من آلام.

مل من مشاكله الدائمة مع صاحب العمل ومع مشاكل الغيرة القاتلة بينه وبين زملائه ومل من الحياة دون قهاوى القاهرة الجميلة وشوارع القاهرة الرائعة فما أن كان منه إلا أن حصل على العشرة آلاف جنية ورجع إلى مصر. كان كل شىء فى مصر كما هو ماعدا الغلاء.. الأسعار ارتفعت والمال شح والعمل مفقود فيها وهكذا فالمصدر المالى قد نضب.. عاتبته أمه كثيراً لرجوعه ولكن أمه لم تكن تدرك أنه وبعد خمسة أعوام فى الغربة كان قد وصل إلى نقطة اللاعودة إلى الغربة لأن هذا هو قمة جهده ونهاية رحلة. هاجمته الحياة فى صدماتها التالية فقد أدرك مع كل زملائه الاستقرار ولكن معه كان عدم الاستقرار كانت نفسه تتوق إلى أسرة صغيرة وحب وحياة دافئة ولكن قدراته العالية لم تكن لتسعفه فراح يمخر عباب بحور اليأس.

كانت عينا أمه تأخذه إلى أعماق الحزن.. كانت أمه تريه الرحمة من الغلاء ومن قسوة التدبير ومن شظف الحياة ولكنها كانت فى النهاية سعيدة برجوع ابنها إليها دون الغربة.. كان كل شىء يدعوه إلى معاودة السفر خاصة أن أمه قد اقتنعت بذلك.. أقتنعت بأن ماله قد ذهب إلى الجحيم ولكنه قد بقى وأننا نحن من نصنع المال ولكن المال لا يصنعنا وهكذا ينبغى أن نعاود العمل من جديد.. كانت رحى القلق تنتشر فهو لا يريد أن يعاود الرحيل.. لا يريد الغربة ولا يريد السفر ولا يريد أن يبقى مسماراً فى عجلة ضخمة فى الحياة ولكن الظروف أجبرته للمرة الثانية إلى أن يكون سواحاً فى البلاد العربية.. أخذه الحزن الذى فاضتا به عينا أمه وأخذته رغبته الجسدية وولعه فى أن يكون له أسرة، أخذه كل ذلك من أن يخرج من الدائرة الضيقة التى فرضها على نفسه وهى دائرة الوحدة ومعها تلبية الرغبات دون مشقة ومعها الوحدة، أخذه كل ذلك إلى أن يخرج إلى الحياة مجاهداً فى العمل ودون ارادته كان (حامد) من النوع المتأمل الزاهد الذى ليس من السهل عليه أن يرى الحياة الكبرى فيذوب فيها كأى مواطن آخر وهكذا اختار ليبيا كبلد صغير

بجانب مصر حتى إذا ما اشتاق إلى أمه وإلى بلده لا يكلفه ذلك إلا القليل، كان سفره إلى ليبيا هو بداية الطريق الحقيقى إلى الغربة فقد نشأ بينه وبين الدنيا عتاباً، فقد أراد أن ينجح فراح إلى ليبيا فأصاب ما أصاب وإلى العراق فأصاب ما أصاب وإلى الأردن فأصاب ما أصاب وهكذا بعد أربعة سنوات أخرى عاد إلى مصر لينعم بها فى النهاية كأى مواطن سعيد بما له. دبت الحرارة فى حياته رغم المال القليل الذى حصل عليه لأنه وفى سبيل المال كان قد عمل كل شىء حتى حامل حقائب فى موقف السيارات دفعته الحياة إذن إلى أن يتخلى عن كل مظهر من مظاهر الاجتماعية وأولها مؤهله فانساح فى أرض الله مصدوماً بعد أن تجرد من كل مظاهرة الاجتماعية وتحول فى النهاية إلى عامل وموظف وتجارى ولكنه فى النهاية عاش كعامل لا أكثر ولا أقل. رجع إلى مصر فاقد الوعى. رجع ليجد أمه تعانى من شظف العيش فقد كانت تدخر من المال الذى يرسله إليها من أجل زواجه وهكذا كانت تعتمد على المعاش. هاله أن المعاش صغير جداً وأنه لا يكفيها فراح معها يطوف المؤسسات الحكومة من أجل زيادة المعاش وقد كان الرد عشرة جنيهات بعد شهور من

الشكوى وعندما زاد المعاش انتقلت أمه إلى الرفيق الأعلى.. كانت هذه هى صدمة الصدمات فقد أدركته الوحدة منذ ذلك الحين، تلك الوحدة التى أجبرته على أن يبيع الشقة وأثاثها وينتقل إلى شقة جديدة.. حدد حامد محطاته القادمة فى محطتين الأولى هى مشروع صغير يجلب له عائد بعد أن فارقه العمل فى الحكومة لأنه بعيد عن التعيين والثانية هى الخطوبة وتكوين الأسرة وهذا هو الشىء الذى لطالما تمناه.. هداه تفكيره إلى العمل فى التريكو، والخيوط الصوفية وهكذا تعرف على بعض التجار... ولم يمر شهر حتى صدمه الواقع الصدمة الكبرى فقد أفلس التاجر بعد أن أخذ كل ماله إلا قليلاً.. وهكذا ضاع الحلم.. لم يعد معه إلا ثمانية آلاف جنية وعدة إيصالات أمانة سلمها إلى الشرطة من أجل أن يستردها ولكن التاجر كان قد أفلس كما يفلس الكثير من التجار.

وفى هذه المرحلة الأخيرة من الوحدة عشق حامد (التلفاز) فراح يجالسه الساعات الطويلة كأنه صديق فلم يظفر منه إلا بأقل القليل من الصداقة.. عندما كان يمر بالدراجة التى اشتراها على شوارع القاهرة كان مذهولاً لأنه يتخلى عن شهادته وفى مصر ليتحول إلى عامل فى أى مكان حتى أنه عمل عامل نظافة فى إحدى

الشركات الخاصة لتوظيف العمالة.. عمل كل الأعمال حتى فى الدعاية للمنظفات الصناعية فى قوافل تمر بالأهالى فى ديارهم مما أدى به إلى الكثير من الإهانات.. (حامد) الآن خرج عن وعيه لأنه لا يزال منفصل عن الواقع لأنه لم يصدق حتى الآن أن الأب قد مات وكذلك أمه ولا يصدق أن ماله قد ذهب أدراج الرياح فى عملية قانون عسكرى لأرض زراعية من أجل حمايتها والجزء الأخير من ماله قد ذهب فى حالة إفلاس. هو الأن معروف فى كل المقاهى لأنه يعرض بضائع الشركات التى يعمل بها فى المقاهى والتجمعات.. حامد مصدوم لا يصدق أنه حتى الآن لا يحب ولم يحب وأنه بلا أم وأنه مفلس وأنه بلا شهادة وأنه بلا إطار اجتماعى وأنه وحيد وأنه يعيش فى شقة من حجرتين وصالة بمبلغ وقدره وأنه فى النهاية قد جاب الوطن العربى وقد ظفر باللاشىء. حامد المصدوم الآن فى كل شىء يذهب إلى المقاهى وقد امتطى الدراجة يصيح فى الناس بأعلى صوته وهو يفسر السياسة العالمية والمحلية بصوت جهورى ودون أن يطالب أحد بذلك. هو الآن فى مقهى فى السيدة زينب يصيح (الكل فى خطر) يجب أن تنقذ نفسها.. العار عار الجميع.. سيضربون العراق. شوفوا البلد واللى بيحصل يها.. النهاية..

الكل فى سبعة مقاهى أدركوا أن حامد مجنون وأنه يأتى فى الأسبوع مرة أو مرتين ليصيح هكذا فى جنون يندد بالنظام العربى وبالنظام المصرى ويتوعد العالم بالخراب.. يقذف الكل بالجنون ويعتقد أنه هو العاقل الوحيد.. هذه هى الحقيقة.. أنا العاقل الوحيد أنا غنى ولكنى لا أريد أن أقول.... أنا مخابرات أنا مهم.. أنا لم أخسر ومالى هيرجع إليّ.. أنتم جبناء.. أنا بلا عمل.. مئات الجمل التى تؤكد أن حامد مصدوم لأنه فقد كل شىء وقد حصل اللاشىء وأنه وهو فى قمة التعليم الجامعى وبعد أن جاب الوطن العربى والمصرى فقد حصد اللاشىء وأنه من المعوزين وهكذا فقد أسلمه الواقع الى ذروة الصدمة حامد الآن يتوجه إلى القهوة الصغيرة فى ميدان عابدين من أجل أن يتلو على الحاضرين تاريخ مصر على يديه ويؤكد لهم أنهم مجموعة من البهائم وأنه هو الوحيد الذى يعلم كل شىء..

الخميس ٦ / ٣ / ٢٠٠٣

(٧)
أبو إيناس

كان يرشف قهوته وهو يتابع صور حفل خطوبة ابنه.. القهوة كانت شديدة الزحام فأخذ ركنا بعيداً يراجع فيها ذكرياته أبو إيناس كان قد قارب الستين وقد تزوج منذ العام للمرة الثانية بميرفت وهى فتاة فى الثلاثين من عمرها اضطر أهلها إلى أن يزوجوها إياه لأن شظف العيش لم يسمح لهم بغير ذلك.. كان أبو إيناس من التجار البسطاء ممن يتاجرون فى الفاكهة وقد اشترى بكل ما قد وفره من حياته قهوة بسيطة فى حى شعبى... الآذان كان واضحاً ولكن أهل القهوة كانوا فى النرد والدموينو والشيشة وعلى رأسهم أبى إيناس.. كان أبو إيناس عطوفاً على ولديه اللذين قد انجبها من صباح والتى قد ماتت منذ ثلاثة أعوام وبمجرد أن ماتت صباح إلا وقد أخذ أبو إيناس يبحث عن الزواج الثانى لأنه لا يريد أن يضيع البقية الباقية من حياته.. أخذ أمر زواجه الثانى بعقلى الابنين خاصة إيناس والتى

obeikandl.com

ماتزال فى دبلوم الصناعة الزخرفية فى السنة النهائية. وبمجرد أن تزوج ابى إيناس إلا وقد قرر أن يزوج ابنه حمدى وبالفعل صدق فى وعده إلى ابنه، ذاك الابن الذى كان فى قمة الغضب إثر زواج ابيه من بنت الثلاثين لتأخذ محل أمه.. الاب الآن يتناول حبة الاسبرين لفرط الصداع وهو يتابع صدور حفل الخطوبة لأن زفاف حمدى غداً.. كانت إيناس أمامه تتابعه ولكنها كانت فى شأن آخر.. الحياة كانت تمر فى أيامها فى اعتياد تام وقد نشأت إيناس بين أبوين لاهيين عنها.. كان ما يجمعها معها الاحتياج إلى المال فالأم مصروفة إلى أعمال المنزل وشقاء الحياة والأب مصروف إلى الدنيا وقد أصاب من الحياة العديد من العلاقات النسائية المحرمة دون الأم... وهكذا نشأت إيناس دون تربية سليمة تدفعها هذه الحياة الموحشة التى عاشتها كانت تود الانطلاق إلى الحياة ولكن الحياة التى تعيشها كانت تحجبها عن رغباتها الجامحة فى ارتياد كل الدنيا.. الحياة كانت تمر حثيثاً دون دفء ودون ثورية ودون عاطفة.. الصباح يسلمها إلى الصباح والمساء إلى المساء.. كل شىء عادى وهادئ وصبور والشىء الذى لا تستطيع أن تناله باليوم ستناله بالغد.

صدمتها فى موت أمها كانت كبيرة ولكنها خرجت من الصدمة بالكثير من الحرية والكثير من فقد الثقة بأبيها الذى كان يمثل لها تبرير الانحلال.. الاب مشهور فى السوق.. سوق الفاكهة.. بأبى إيناس وحتى القهوة سميت باسمها قهوة إيناس كان الأب يغدق عليها الحنان النظرى لأنه لا يملك لها الحنان الطبيعى الواقعى العملى... نشأت إيناس مع كل الرقابة عليها دون رقابة فعليه. أوصى إليها انتظام تدفق الحياة بشعور عميق تغلغلها أن الحياة ستستمر لأنها يجب أن تستمر وأن اليوم مثل الأمس والغد وأن عليها أن تعيش الحياة وتستمتع بها فإذا بها تتعود على بعض السرقات الخفيفة من زميلاتها فى المدرسة وتحتفظ بها معها وإذا بها تطلق لقلبها العنان من أجل الحب فأحبت فى الثلاثة سنوات الخالية أربعة من الشباب قد نالوا منها كل شىء ما عدا البكارة ولكن كل ذلك لا يكفى فالحياة تمر والشمس كل يوم تشرق من المشرق وتغرب من المغرب ولم يحدث شىء بعد كل هذه التهتكات. الآن لم يعد رقيب فالأم ماتت والأب العاهر كما تسميه بل تسمى بيتها كذلك أيضاً... تزوج من أجل الجنس بمن تصغره ثلاثة عقود وهكذا فالمال معها

ولكن لابد أن يكون معها الجليس.. لابد أن تنطلق من هذه الحياة الرثة إلى الحياة الأخرى ولكن هذا مستحيل أفلا يكون هذا مبرراً لأن تعيش كما تريد على الأقل مع جسدها؟!

كان كل شيء يدعوها إلى الخروج بالجسد من عالم البتولية إلى عالم اللابتولية فتتحول إلى امرأة كاملة ما هذه الحياة الملعونة.. كل يوم مثل اليوم السابق.. وأنا أعلم أن هناك الله ولكنى هكذا هذه هى حياتى وهذه هى بيئتى وأنا امتداد لأبى ولابد أن أعيش كما أريد..

الحياة تمر سراعاً فى اعتيادية ولكنها تسير فى سرعة شديدة.. القيامة ستبتلع كل شيء.. والقيامة قادمة ولكنى لابد أن أعيش حياتى قبل القيامة.. الحياة طبعتها بقسوة الحياة وطاغوتية الأيام وهكذا فإنها تجلس الآن أمام أبيها وهو يتناول قرص الأسبرين بينما يضحك متابعاً صور حفل خطوبة ابنه.. كانت الابنة تستخلص من أبيها الموافقة على فض بكارتها غداً فى أول لقاء جنسى وفى رغبة ملحة أصرت على ذلك.

هى الآن تبحث فى ملامحه على الموافقة وقد أدركتها من قبل

لأنها تعلم أن الأب فاسق وأنه لم يحترم ذكرى الأم.... أتى بهذه الصباح من أجل الصياح فى الذر بدلاً من أمها... هى الآن تتحرر من سطوة الأبوة بان تواجه أباها صامتة كأنها تقول له أننى سأبيع بكارتى مجاناً غداً لأننى لابد أن أعيش كما أريد ومن أجل أن أضعفك لأنك لم تكن فى يوم من الأيام أباً ولكنك كنت مجرد ممولاً للمال وأن هذه هى طبائعنا معشر الدرك الأسفل من المجتمع وهو الدرك الذى يستهدفه الدرك الأول من المجتمع من الأثرياء وذلك لأن الذى سيفتك بها غداً هو طبيب تخدير اقسم أن يمتعها لتذهب الآن يا أبى إلى الجحيم لأننا قاسية كالحياة باردة كالأيام أنانية كالشمس.. كان الأب فى واد آخر فقد كان الأب يصارع عمره كله فكرة الموت.

لم يكن يريد الموت وقد أنهكته هذه الفكرة حتى احتوته ولكنه كان دائماً يرجو القدر الاب كان يهش لابنته بينما هو فى أشد حالات الحسرة لأنه قد قارب الستين وأنه هالك لا محالة عما قريب.. عيناه كانت تدور إلى الصور بينما نفسه كانت تقول (كبرت يا أبا إيناس؟!! الإبنة على وشك الزواج وهى فى رأيه شريفة عفيفة والأبن

ها هو سيتزوج غداً فى حفل كبير فى إحدى النوادى الشعبية وهكذا سيجيئ اليوم الذى سينفرد فيه بصباح.. إنها ليست المرأة الثانية ولن تكون ولكنها المرأة التى هى فى دورها. نعم لقد أرجعت شبابه وأدخلت بعض الحنان والحب إلى قلبه ولكن (أبو إيناس) كان كما هو أنانياً تسيطر عليه فكرة الدنيوية وكراهية الموت فراح إلى الحياة ينهل منها كل ما يريد وبكل استطاعته وها هو الآن واهن ضعيف أتت عليه الأيام بتداولها الحثيث.. البطىء.. نظر الأب إلى الشمس الغاربة وأومأ لأنه على ما يبدو قد أدرك النهاية.. سقط الأب مغشياً عليه فى غيبوبة.. كان الاب يدرك الموت، يدرك أن هذا هو الأوان الذى لطالما خافة ألا وهو المرصد والموت.. غاب الأب عن الدنيا لحظات ولكنه الآن بين الحياة والموت.. كان آخر ما شاهده هو وجه ابنته إيناس وهو يردد لمن سأتركها؟!

ستتشرد ولكن نفس الأب أخذته إلى مكان بعيد..

أخذته إلى حياته.. كان بين الحياة والموت وهنا فى هذه الحالة من الوعى واللاوعى راح الأب يندب حظه ويتذكر أعماله لأنه على وشك الموت.. كان الأب يعلم العامل الذى ينقصه، المعامل الذى

بحث عنه طوال عمره ألا وهو الإيمان: (أبو إيناس) كان فى حنين دائم للعودة إلى الله.. كانت هذه العودة هى المعامل الحزين فى حياته كان يعلم أنه ميت ميت وأنه مهما عاش سوف يلتقى بالثرى فى القبر ولسوف يسأل ويحاسب وأن القيامة آتية وأنه سوف يحاسب أمام الله يوم القيامة كانت تقوى الله هى المعامل الناقص فى حياته وكانت هى أمله.. كم بكى لأنه لا يصلى وكم بكى لأنه يزنى ولكن فى كل مرة كان يأخذه صبر الله لأن الله هو الصبور وكان يدرك أن الله يمهله وهكذا فقد أنغمد (أبو إيناس) فى حثيث الحياة.. خدعته بأن أدارته فى تروسها فإذا به يلهو بها وتلهو به وهكذا لم يستطع طوال ستين عاماً أن يتخذ القرار بالتوبة التضرع إلى الله.. كان يغش فى البضاعة والميزان ويزيد الأسعار ويزنى ويتذكر دائماً حنينه إلى تقوى الله ولكنه لم يستطع طوال ستة عقود أن يعود إلى الله وهكذا فقد أدرك فى حياته الضعف وأنه عديم الإرادة وها هو أمام ابنته الضائعة من بعده وها هو يأخذه المرض الملعون إلى المستشفى وها هو سوف يعجز وها هى الغيبوبة تأخذه وهو لا يلوى على شىء.. أدرك دموع إيناس ولكنه

لم يستطع طوال ستة عقود أن يعود إلى الله وهكذا فقد أدرك فى حياته الضعف وأنه عديم الإرادة وها هو يأخذه المرض المعلون إلى المستشفى وها هو سوف يعجز وها هى الغيبوبة تأخذه وهو لا يلوى على شىء.. أدرك دموع إيناس ولكنها الدموع التى لا تقدم ولا تأخر لأنه سائر إلى الله بعد عمر قضاة فى الغش والزنا وعدم الصلاة.. الأب أخذ يسترجع بقوته النفسية آلام الماضى وهو يتذكر عجزه الحقيقى وهو ضعف الإرادة فقد نشأ فى أسرة سوقية، لم يتعلم التعليم الكافى ولكن الأب ومعه الأم كانا فى أشد الحنان له وقد وفرا إليه كل شىء ولكنه لم يستطع أن يفلت من هذه البيئة السوقية فلم يحسب من التعليم شيئاً مما أضطر أبوه أن يخرجه إلى العمل فاختار أن يتاجر بالفاكهة ورغم ذلك فقد عمل فى مهن كثيرة ولكن فى كل يوم كان يعاوده الحنين إلى تجارة الفاكهة.

صفحة وجه زوجته أم إيناس تصافحه الآن فقد أخذه الحنين إليها رغم زواجه الثانى بصباح لأنها من عاشرته السنوات الخالية وكانت له نعم الزوج الآن.. يتذكر كل شىء... أسرته الأولى وفقرها ومستواها المتدنى، التعليم والفشل العمل حتى الوصول إلى عربة

خشبية وقد حملها بالبلح والبرتقال وسار بها إلى شوارع المدينة، الزواج وإنجاب الأبناء، موت الزوجة، الزواج بصباح، زواج الأبن وأخيراً دموع إيناس كانت هذه محطات حياته الكبرى يتذكرها جيداً ولكنها كانت كلها مزدانة بالغش وغلاء الأسعار والزنا وترك الصلاة.. كانت حياته التى مرت سريعاً ينقصها معامل أساسى هو تحويل الحنين إلى الله إلى تقوى ولكن طوال ستين عاماً وقد فشل فى تحويل حياته من حياة الظلام إلى النور، فقد تمنى أن يكون تاجراً زمنياً وفشل، تمنى أن يصلى وفشل وهكذا فقد شعر أنه عار وأنه ضعيف إلى أقصى درجة، وأن هذه هى الحياة أذن؟!! تعجب وهو فى غيبوبة هذه هى الحياة أذن تنتهى من حيث نعتقد أنها لن تنتهى ؟!! اليوم يسلمنا فى هدوء إل باليوم التالى وشروق الشمس يسلمنا إلى الغروب والنهار يسلمنا إلى الليل وهكذا تمر الأيام ومعها السنوات ونحن لا نشعر أننا قد نسينا الله ونسينا الإيمان ونتحول من ثم إلى مسمار فى ترس الحياة الرهيب فتطحننا الحياة ونتحول إلى ذلك الهشيم فى هذه الغيبوبة.. الحقيقة أن الأب قد حزن لأنه فجأة أدرك أنه قد أصبح مسناً، صور الحفل أوحت إليه بالنهاية لأنه

قد كبر فعلاً فحزن لأن اجله قد أتى بزواج الأبناء وكان هذا الحزن مدعاة إلى زيادة الضغط الدموى فإذا به يصاب بانفجار فى المخ بعد أن استمر وهمه بأن قد كبر طوال الشهر المنصرم.. كان الأب محمولاً على الأكتاف إلى سيارة الإسعاف وهو معلق النظر على كل حياته السابقة وقد ردد فى وهن (ضعيف) (ضعيف) أما الأبنة فقد أخذتها الحالة المرضية فعصفت بها لذات الفكرة وهى أنها أمام الموت ولكن الإبنة كانت قاسية فقد تمنت لأبيها الموت لأنه تزوج بصباح.. كانت الإبنة مصعوقة لا لأن الأب قد أصيب بالموت ولكن لأن هذه الحالة سوف تباعد بينها وبين موعد زناها بالغد ورغم حالة الأب - أبو إيناس - إلا أن الأبنة قد تركت المستشفى وهو بين الحياة والموت بعد أن علمت الأسرة أنها حالة إنفجار فى المخ، تركت الإبنة الأب وهو فى غيبوبة وتحججت لأخيها ببعض الأعذار وذهبت إلى موعدها من أجل أن تستمتع بصيدها طبيب التخدير، الذى عشقت أن يفض هو بكارتها.. كم كانت قاسية فى اختيارها الموعد ولكنها كانت قد أدركت أنها أصبحت مسماراً فى عجلة الحياة وأنها قد أسلمت نفسها إلى دائرة الأيام الحثيثة وإلى

الشروق والغروب المعتاد تركت نفسها إلى الدنيا ومعها القسوة والمال والمتعة ولن تفكر فى تحويل الحنين إلى الله إلى تقوى مثل أبيها فقد مات هذا هو المعامل الذى عصف بحياتها هى الأخرى ولكنها كانت أكثر قسوة من الأب لأنها قررت أن تفض بكارتها وأن تمارس الحرام زناً بالتحديد حتى يغادرها هذا الشعور الذى يدمر متعتها ألا وهو الحنين إلى الله.. (إيناس) تلتقى الآن فى غيبوبة المتعة مع (هشام) طبيب التخدير ولكن فى عمق غيبوبتها كان يكمن الأب وكان يكمن حزنها على غيبوبة الأب المرضية والتى ستنتهى كما قال الطبيب بالموت المحقق لأن الأنفجار شديد القوة والخطورة. أما حمدى فقد كان ينظر إلى صباح وإلى دموعها الزائفة وهو يردد (لن تأخذى من الميراث قلامة الأظفار)

الخميس ٦ / ٣ / ٢٠٠٣

(٨)
الليلة الأخيرة

جهزت مريم كل شيء فقد قررت أن تكون هذه الليلة هى الليلة الأخيرة هى ليلة الانتحار مريم.. هى إحدى الممثلات العالميات المخضرمات، دارت الأرض كلها ولكنها فى كل مرة كانت تقودها إلى قصرها وحيدة.. كانت عاقراً.. اكتسحها الألم وهى تجهز السم لتصنع حد لهذه الحياة الناضبة.. كل شيء كان ملك يمينها ولكنها كانت بلا امتداد.. تتذكر الآن وهى بين قرار الحياة والموت، تتذكر شريط حياتها الذى مر سريعاً.. تتذكر سنوات الحب الأول ومعه أولى القبلات خفية وهذا الحب الذى تركته لأن حبيبها رفض أن تعمل بالسينما.

تتذكر كيف أخذها اليأس فى البحث عن الحب إلى الارتواء مع أحد أثريا أوروبا (كانت أيام جميلة) ليتها بقيت.. حياتها مرت بين أناملها دون أن تدرى.. كان قلبها يطير من حب إلى حب ولكن هذا

obeikandl.com

الحب لم يكن فى رسوخ الحب الأول، ذاك الحب الذى ترعرع على ضفاف النيل كانت الباحثة عن الحب والحب أسلمها إلى الزواج ولكن هذا الزواج أثبت أنها عاقر.. كانت الصدمة كبيرة خاصة أن رحلتها مع حبيبها ومع الطب كانت طويلة وهكذا أطاح الطب برغبتها.. وأكد الحقيقة التى أذهلتها ألا وهى أنها عاقر. بترت بنفسها هذا الحب العملاق والذى تزوجت على اثره من زميلها البطل السينمائى المعروف، قررت أن تعيش بلا حب لأن الحب لن يصنع لها الامتداد ولكنها لم تستطع أن تنأى بالأيام عن قلبها، قلبها الصغير الطائر راح يبحث عن الحب دون تعمد ولكنها كانت دائماً تحول الحب إلى ارتواء جسدى لتهين الحب حتى لا يتحول إلى زواج لأن الزواج هو الأسرة والإنجاب وأنها لن تستطيع أن تفعل شىء حيال كونها عاقر وبلا امتداد. غمست نفسها فى فنها فإذا بها ترتقى سلم المجد فى ثبات فقررت أن يكون الفن هو امتدادها راحت إلى الملاجئ تغمرها بفيض من حنانها ولكنها تدريجياً انسحبت من حياة الملاجئ لأنها حياة تثور فيها الألم من طرف خفى كانت تتتبع أخبار حبها الأول ضاحكة لأنها من المستحيل أن تنسى القبلة الأولى،

كانت بينها وبينه بعض المكالمات، ذكرته أنها لها مستقبل كبير فى الفن وأنه كان أنانياً ورد بأن الرجل أنانى وهذه طبيعة الحب أيضاً.

منذ أسبوع واحد علمت أنه قد مات فإذا بها تودعه كما ودعه أهله فسافرت إلى مصر من أجل عزاء دون أهل.. مرت فى كل شوارعها التى نشأت بها فاستشعرت مرارة الوحدة.. كان كل شىء يصرخ فيها بأنها بلا امتداد وكانت ترد هذه إرادة الله.. منذ عقد باعدت بينها وبين الفن إلا ألمم لأنها قد وصلت إلى مكانة كبيرة يستحيل معها أدوار الانتشار السينمائى وهكذا انفردت بها الوحدة.. راحت إلى حب الماضى ولكن حب الماضى كان قد استوعبته عائلته.. عرضت عليه أن تعتزل ولكنه كان قاسياً كل شىء قد انتهى منذ زمن طويل يا مريم.. كانت كلماته كالمقصلة بترت هذه الرغبة الحانقة إلى أن تعود إلى مصر بلدها الأول وقد كان من المستحيل أن تعود دون حبيبها.

كان الحبيب الأول يدرك أنها قد أحبت الآخرين وأنها لم تعد له وهكذا لم يشفع شىء عنده فاتهمته بالجمود كان كل شىء فى حياتها حزيناً يمر بمرور المتثاقل، يجرها إلى الشعور المرير بأنها

بلا امتداد وقد كان ذلك يعصف بها كانت ترتقى لدرجات الفن درجة درجة مع كل فيلم لها حتى جاء هذا الفيلم.. كان الفيلم يدور عن أم فقدت ابنها وكان لابد عليها أن تتقمص الشخصية.. كان الفيلم حزيناً وهكذا فقد التقى حزنها بحزن الفيلم فيخرج الفيلم سيمفونية من سيمفونيات الألم، هذا الألم الذى أتى عليها.. حزن الأم التى فقدت ابنها جاء مع حزنها لأنها فقدت ابنها دون ميلاد وقد كان هذا الإبن هو الإبن والحب خاصة الحب الأول.. أدركت مع هذا الفيلم أنها قد وصلت إلى نهاية النجاح لأنها قد أصابت به جائزة عالمية وقد كان عليها بعد أن ذبحها الفيلم ألماً بأن فجرّ بها أمارات الوحدة والحزن أن تضع حداً لآلامها.. لحياتها العاقر وللحب الأول الذى قسى عليها وللحب الذى أتى بعد ذلك ثلاثة مرات ليورثها الشقاء، فقد كان الحب فى كل مرة يفشل لأنها كانت مطمع وهكذا فقد اعتزلت دون اعلان من أجل أن تبتعد عن العالم وهكذا جاء إليها هذا الفيلم ليفجر بها الآلام.. آلام الأمومة التى تخسر كل شىء بفقدان الأبن.. الشخصية بالرواية فقدت الأبن فانساحت فى عالم الحزن وهى قد قامت بالدور ببراعة

فأناحت حتى أن حزنت كل الحزن.. والآن ماذا بقى لها؟ كل شىء عالى وممل ويدور فى فلك واحد هو فلك الحزن. قررت أن يكون مع هذه الجائزة العالمية نهاية الممثلة ومع نهاية الممثلة نهاية الإنسانة العاقر التى لم يكون لها امتداد.. عادت الليلة من مصر لأنها قررت أن تودع الإسكندرية بالتحديد لأنها تعشق ذكرياتها الأولى وتعشق البحر المتوسط وهو يُقبل شاطئ الإسكندرية وقد اصطف على الكورنيش مئات من قصص الحب.. أدركت حينها أن قرارها بالموت صحيح لأنها فقدت القدرة على أن تحب فقد أتت الاحزان عليها.. الفن احتواها تماماً فأنهكها مع كل شخصية تتقمصها والحب استوعبها ليحولها إلى جسد لأن كل الرجال كانوا فى طمع بها وعندما يحدث الارتواء دون الزواج يذهب الحب، وهكذا لابد أن تعتزل عندما جاء إليها هذا الفيلم الأخير عن الأم التى تحزن كل الحزن التقى الحزن بالحزن فتفجر بذلك تفسيرها الحقيقى. أنها قد توغلت فى النهاية لأن الحزن الذى حزنته قد أتى على صميم شخصيتها بأن تحولت إلى جدباء.. حياتها أجدبت فلا إنجاب ولا حياة وهكذا فقد كان لابد عليها أن تعتزل دون إعلان

منذ عقد لأنها لم تعد تستطيع أن تعطى الفن وتدريجياً أكلها الحزن فإذا بها تبذل مجهوداً كبيراً من أجل تقمص الشخصية وهذا ما أدى إلى أن تحتوى شخصية الأم التى تفقد ابنها فيتلاشى الحد الفاصل بين حزن الشخصية وحزن مريم وهكذا انصاعت إلى رهيب من الحزن والوحدة ورفض الحب وهكذا أصبحت جدباء.. أدركت النهاية وقد كان عليها أن تكون فى مستوى الموقف أنهت حياتها دون أن تنبس بكلمة حتى لا يعلم العالم أن الممثلة الشهيرة قد أتى عليها كل الحزن وحولها إلى جدباء رغما عنها.. كان السم هو النهاية فى الليلة الأخيرة.

openkandil.com

(٩)
السجق

كعادته مساءً يبدأ فى رياضة المشى بعد إنهاء عمله بمكتبه للمحاماة فيستفيد أن ينشط الدورة الدموية لأنه حريص على ألا يزيد وزنه.. كان أمتع أكلاته سندوتش السجق وقد استراح عقله من التفكير العميق بعد كل يوم مِنهك متعب، من بعيد شاهد شبحاً فى أنعال بالية.. كان طفلاً فى العاشرة.. من عمره وقد بدى أنه شحاذ.. الطفل وقف أمام أطباق الطعام فاغر الفم تردد خمسة دقائق قبل أن ينبس بالكلمة التى قاللها للبائع سجق.

قالها الطفل فى وهن فقد بدى أنه جائع جداً.. ولكن البائع لم يلتفت إليه فما كان من الطفل إلا أن كررها بينما لعابه يسيل (سجق) ومع التكرار كررها البائع بعدم الالتفاف.. المحامى الشاب شاهد الطفل وكأن امعاءه تتلوى جوعاً ولكنه آثر الصمت.. التفت الطفل إلى الآكلين وطلب منهم (حتة).. ولكن أحد لم يلتفت إليه..

obeikandl.com

كانت الصدمة كبيرة على الصبى.

ولكن القوة الدافعة للأكل كانت تدفعه ليكون أكثر إلحاحاً فما أن كان منه إلا أن صاح فى وجه البائع (سجق) ان هذا الهتاف هو الضربة القاصمة للطفل ما أن صرخ الطفل مطالباً بالسجق إلا وقد انهال البائع عليه ضرباً ضربه ثلاثة صفعات فإذا بالطفل يطير أرضاً وقد انهمرت دموعه.. كان الطفل منهك إلى الدرجة التى لا يستطيع معها القيام.. المحامى أخذه الموقف كان يود أن يعاتب البائع لأن الطفل وإن كان شحاذ إلا أنه فى النهاية طفل شحاذ جائع.. أدركها البائع فى عيون المحامى إذ صرخ كل يوم هناك عشرات الشحاذين هل سنطعمهم دون أولادنا). الواقع كان يكذب البائع فالحانوت من أشهر حوانيت بيع الطعام والطعام مكدس فى كل مكان وراء المتاريس الزجاجية.. أدرك المحامى خيبة الرجاء فى البائع وفى الحضور الذين لم يهتموا بالجوع وإهانة الطفل فهب إلى الطفل يمسح دموعه فعاجله الطفل بكلمة مزقت نياط قلبه جائع وعطشان.. اغرورقت عينا المحامى بالدموع فإذا به يحمل الطفل ويجلسه على أقرب كرسى ويطلب له الطعام أدرك المحامى أن البائع يصنع الحرمان وأن قطعة صغيرة من السجق كانت تكفى

طفلاً لتكون فى حياته الحنان.. المحامى الشاب كان يدرى القسوة التى رسخت فى القلوب وكان يدرى أن المجموع الإنسانى هو الذى يصنع هذه القسوة وأنه بذلك يربى ملايين المجرمين المعوزين الذى يكنون للمجتمع كل حقد.. وهنا هتف فى أعماقه هذا هو الطريق إلى الماركسية.. البائع صرخ كلهم كلاب يا أستاذ لا تأخذك الشفقة بهم. ولكن المحامى أجاب لوجه الله وتحت تأثير هذه الهزيمة المدوية صنع البائع سندوتشات السجق إلى الطفل والذى راح إليها ناهماً إياها. كان المحامى سعيداً بهذا الشعور الجميل أنه قد أرضى الطفل ولكن الطفل صاحب العينين الصافيتين أرعب البائع والحضور بنظراته المودعة.

تفرس المحامى بشكل المتهم فى قضية سرقة نفس محل الطعام وكأنه يقول له رأيتك من قبل.. ولكن الملامح كانت جامدة كان الشاب فى العشرين من عمره متجهم الوجه صلد الملامح فاجأ المحامى بأن باعده إذ أنه يريد أن يسجن لأن السجن مأوى وأنه قد تعب.. الاسرة تائهة فهو الطفل الخامس فى أسرة مكونة من أب وأم وستة أفراد. الحياة بؤس ولا مال ولا زواج ولا حياة.. المحامى كان يعلم أن الحياة أصبحت قاسية وأن الرحمة معدومة وأن هذا

الشاب لم يكن مجرماً ولكنه تحول إلى مجرم عتيد الإجرام ولكنه هذا الإجرام اليائس.. أدرك المحامى أن الشاب لطالما صارع فكرة أن تنزلق قدمه إلى عالم الإجرام ولكن القسوة كانت قد احتوت قلبه لأن الحياة التى عاشها قد طردت من قلبه الرحمة.

المحامى الشاب قرر أن يدافع عنه مجاناً.. كان السؤال الذى يلح عليه متى رآه.. المحامى الشاب لم يتذكر نفس المجرم عندما كان طفلاً منذ عشرة أعوام وقد دعاه إلى السحن فقد كان الصعب أن يتذكر هذا الطفل ولكن بصمة العين كانت هى الملهمة له أن يتساءل متى رآه.. كانت نفس النظرة.. نظرة البائس المحروم الذى لم يرحم جوعه أحد فإذا به يتحول مع كل شروق إلى مجرم رغماً عنه لأن الرحمة لم تحتويه فى يوم من الأيام.. الشاب السارق.. الذى سرق نفس الحانوت للطعام كان يساق إلى عربة الشرطة بينما يمناه مصفدة فى الحديد وقد بدأ رحلة كعب داير.. السارق كان يلتهم الطعام مع الحارس الشرطى وقد أخذهما صوت القطار الرهيب المدوى فى ظلام الليل.. الحارس كان مندهشاً من همجية السارق ومن تجهمه ومن إصراره على الإجرام حتى لو خرج من السجن بعد قرن.. الحارس قالها تستاهل

السبت ٨ / ٣ / ٢٠٠٣

(١٠)
المستهلكون فى الأرض

(أجمل موعد فى حياتي) هكذا هتفت داليا وهى فى طريقها إلى بيت المطرب الكبير.. المطرب الكبير محمود.. كان عشقها منذ نعومة أظافرها.. عندما كانت فى الإعدادية كانت صوره تملأ حجرتها الصغيرة وأنغامه تسرى فى وجدانها ليل نهار وعندما كبرت والتحقت بالمرحلة الثانوية تحول الحب إلى النضج فى الحب وعندما التحقت بالجامعة كان لابد أن تكون صورته فى كل كراسة من كراساتها، عندما التحقت بالحياة مودعة أيام الصبا ألحقتها أسرتها المتيسرة إلى إحدى شركات الإنتاج السينمائى ولكن (داليا) لم تكن الموهبة الكبرى التى تؤهلها إلى دخول عالم الفن ولكن إصرارها القسرى على أن تكون نجمة أحالها إلى وجه جميل وهى الجميلة.. لتستخدم فى الإعلانات رغماً عن اسرتها.

وبالفعل مضت الشهور وهى تضع النجومية صوب عينيها.

obeikandl.com

وأمام هذا التصميم وزعها أحد المنتجين لتمثل أمام المطرب محمود إحدى الأغنيات.. (كليب) كانت تريد تحويل الوجه الجميل الذى لا يصلح إلا للإعلانات إلى وجه سينمائى وان هذا الفتح فى حياتها هو المرحلة الانتقالية (كليب). وقد جاء اللقاء بحبيب العمر محمود، فى البداية لم تستطيع أن تتمالك نفسها فقد كانت أمام حبيب العمر ولكن محمود انفرد بها لحظات واودع فى قلبها القوة وما هى إلا أيام حتى أصبح الوجه الاعلاناتى وجه يصلح لأن يتواصل مع الجماهير فى كليب تمثيلى.. لمحت داليا الإعجاب الشديد فى عينى محمود وقد تفجر هذا الإعجاب مع قبلة على الرأس أودع بها الحنان إياها.. بعد الكليب بيوم واحد اتصل بها مدير أعماله ليدعوها إلى عشاء فاخر خاص... (داليا) الآن تهرول إلى هذا الموعد المعجزة.. لم يمر وقت طويل حتى قال لها (أحبك) وهكذا اعتقدت أن هذا هو نهاية صبرها فى تحمل حبها الوحيد وقد عاجل محمود كلمة الحب بلقاء فى المهد أذهب بتولتها أدركت داليا أن هذا هو كل شىء أدركت أن محمود وهو الحبيب الوحيد طوال عقدين من الزمان قد أودعها قبلة حنان من أجل هذا الاستدراج. قالت أن هذا

مستحيل.. لم أعد عذراء.

-هو الحب.

- ليس هذا الحب

- لا عليك هذا هو الحب.. لقاء.. جمال.. حنين.. فراق

- هذا استهلاك للحب

- هذا هو الحب.

- هل هذا هو الحب الذى ظللت تطرب له كل هذه السنين؟

- هذا هو الحب وكفى.. سأراك الجمعة القادمة.. لا عليك تستطيعين الزواج وأنت بهذه الحالة. أستأذن أدركت داليا أنها لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة فى حياته بهذا السلوك معها.

السبت ٨ / ٣ / ٢٠٠٣.

obeikandl.com

(١١)
القبيلة

دوى صوت الرصاص حول الحافلة فأجبر السائق على الوقوف.. ساد الهرج والمرج فى أنحاء الرحلة العلمية التى قصدت الصحراء لتدرس النباتات الطبية.. فى لمح البصر اقتحم ملثمون الحافلة كانت العيون تتساءل لم؟ ولكن الرصاص المصوب إلى الرؤوس كان الفيصل البليغ.. خرج رئيس الرحلة العلمية إلى رئيس القبيلة قابلهم جميعاً بتجهم وعزف عن لقائهم وسلب أدوات الاتصال بهم.. باتوا ليلهم فى الزمهرير ومع الصباح دخل أحدهم إلى خيمة الرئيس عارضاً عليه خدماته.. أدرك المتلصص من الرحلة العلمية وقد كان أجنبياً، أدرك أن عليه أن يعيش أسير القبيلة القوية التى قررت أن تأسرهم وتحولهم إلى عبيد.. المتلصص أعطى للقبيلة كل المعلومات اللازمة لتسوس القبيلة مجموعة العلماء ولكن رئيس القبيلة لم يكن راض كل الرضا خاصة بعد أن قرر أن ترحل القبيلة من موطنها إلى

obeikandl.com

موطن آخر لتخفى العبيد.. العلماء واجهوا الموت بشجاعة أمام حلف القبيلة ولكن رئيس القبيلة كان يدرك أنه سيفوز فى النهاية.. كانت روح التحدى فى الذروة بين القبيلة وبين العلماء ولكن العلماء فقدوا الأمل فى الإنقاذ والتصالح مع القبيلة وهكذا قبلوا عن طيب خاطر أن يكونوا عبيداً.. تساءل العلماء لماذا لم تنقذهم الشرطة بعد التأخير عن مواعيد الاتصال ولكن رئيس القبيلة قال لهم فى صمت حصيف أنتم فى العالم الثالث.. أنتم لى... وعندما تساءل العلماء عن المصير خرج رئيس القبيلة عن طوره وقد بدت روح الثأر فى قسماته وقال (معى نهايتكم)..

السبت ٨ / ٣ / ٢٠٠٣

openkandil.com

(١٢)
إنى أحبك يا إيمان

لم تنم إيمان هذه الليلة.. أخذها السهاد وكيف لا وهى على وشك أن تقابله.. أزاحت الغطاء غارقة فى الوجل والقلق.. كيف ستقابله بعد كل هذه السنين الطويلة؟! هو الحب الذى امتلكها منذ ربع قرن ولكنها لم تصارحه ولم يصارحها. ثم تزوجت بآخر بعد عامين من الوجد.. هى الآن فى طريقها إليه بعد عشرين عاماً من التخرج فى كلية الطب.. خلعت ملابسها الحريرية فى هدوء.. احتضنت الوسادة الخالية.. تمنت أن يكون هو الوسادة الأسمنتية فى أحضانها تسربت يديها إلى جسدها العطشان إليه.. أخذت تعبث به مارست العادة السرية فى ضجر الوحدة.. أستكانت.. بكت.. كانت تبكى تبكى الحب العميق الذى أخذ منها العقل والوجدان وأمنيات الجسد ورغم أن الفراق قد دب منذ عقدين إلا أنها مازالت تحبه.. وها هو اليوم يحمل إليها دوامات القلق.. هل

obeikandl.com

نسينى ؟ هل تزوج ؟ كل ما أعلم هو أننى أحب الحب الأكبر.. وأن الحب لم يذهب إلى النسيان رغم الزواج.

كل ما أعلمه أنه كاتب منذ نعومة أظافره لطالما كتب مجلات الحائط وقد أبدع فيها القصص والمقالات تتبعته عبر السنين عن طريق بعد الأصدقاء فى القاهرة إذ أعيش بالمنصورة تتبعته ولكن سيرته باعدتنى بعد أن ذهبت كل صديقة إلى حياتها الخاصة.. وفجأة لقيته فى الإعلام منذ خمسة عشر عاما.. رأيته يجوب الدنيا بمقالات نارية عن كل شىء هو هو لم يتغير الجدية.. العمل.. الإخلاص.. الوطنية.. الإنسان.. والحب.. كم كنت أريد أن أقولها له (أحبك) ولكن الخجل احتوى فينا الحب الصموت.. كان فقيراً وهكذا شاءت الأقدار ألا يصارحنى إذ ليس لديه من المال ما يُوفى التزامات الزواج.. هكذا عشنا سنوات الجامعة من يوم إلى يوم ومن نظرة إلى نظرة ومن ابتسامة إلى ابتسامة حتى صارت خطبتى فإذا به فى أشد الحزن..ماذا كنت لأفعل؟!

الأقدار كانت أقوى منا.. اليوم ألقاه.. ألقاه بعد عشرين علماً.. ابنى قد تورط فى خلاف مع أستاذه بالجامعة وقد وعده

الرسوب.. ليس لى أحد فى هذا العالم.. الموقف أكبر منى.. ليس لى سواك يا محمود.. تدخل بالمصالحة وأنقذ مستقبل ابنى.. اكتسحها شعور غريب بأن كل شىء يتغير.. الموقف أخذها إلى القلق.. الدار ليست الدار.. الفراش ليس الفراش.. الزهور ليست كعادتها حامت حزينة.. الشمس ليست الشمس ولا الطرقات هى الطرقات.. ربتت على كتف ابنها ووعدته أنها ستحل المشكلة سلمياً ولكن الأبن كان متشائماً.. قالت له أنها سوف تذهب إلى صديق قديم هو الكاتب محمود محمد كان زميلاً لى ولسوف ينقذ الموقف.. لم تصب من الفطور شىء فقد عقلت الأحداث كيانها كله.. فكرت فى أن تتصل بأبيه الذى طلقها منذ عام ولكنها كانت تود أن تنهى المسألة بنفسها وفى نفس الوقت تقابل محمود. كانت تود صفع زوجها السابق الذى ترك لها المسئولية لينطلق وراء النساء والمتعة والكر والفر.. عاشت عشرين عاماً فى وجل استحملت الجفاء والخيانة حتى كبرا الإبنين.. الآن.. منذ الحول كان لابد أن تضع حداً لنزيف العمر.. قال لها أنه لم يجبها يوماً وقالت أنت إلى البغاء.. فأى حياة تستوى مع الخيانة؟! فى البداية لم تصدق الخيانة إذ أنها جميلة الجميلات

خاصة أنها قد أبدعت فى حماية الدار من الخراب ولكن جنوح الزواج الغنى إلى النساء هدم آمالها وخلفها وحيدة رغم الحياة.. كم تمنت فى جوف الليالى الطلاق والبحث عن محمود ولكن الزوج العنيد لم يتركها لهذا الحلم فقد حاصرها وأغلق عليها الأبواب.. هى الآن حرة.. تتطلق إلى العالم رغم حرمانها الجسدى ورغم اللوعة والحزن وقد أسلمها هذا الحزن إلى تتبع أخبار محمود فاشترت كل كتب وصارت تتابعه فى الصحافة كلمة كلمة وهكذا فقد أتت على جل فكرة.. رأت فيه الكاتب الكبير حارس الحريات وأمين العدالة.. ورائد الصحافة.. هى اليوم فقط تبادره بالزيارة بعد عشرين عاماً من فراق وبعد قلق احتواها لمصير ابنها المشاغب الشىء الذى لم تعمله هو هل تزوج أم لا.. من هى ؟ ما شكلها؟ ما لون عينها؟ أهو فى زرقة عينيها.. ما بال شعرها؟ هل هو هذا الشعر الأشقر المجنون الذى لطالما عذب الرجال والنساء.. ما هو لون البشرة هل هو بهذا اللون الأبيض الناصع؟ ماذا عن الجسد؟ هل هو هذا لجسد المتناسق؟! وهل أحبها ؟ هل أحببتها يا محمود؟ بعد كم يوم قد نسيتنى؟ بعد كم يوم أو أسبوع أو شهر أو عام؟ كم بقيت

فى حياتك؟ كنت فى يوم من الأيام أحلامك فهل فارقنا الزمان وأذاب حبك الأسطورى الكبير؟! هل استطاعت أن تأخذك منى؟ هل أنستك القراءة العشق الموّار؟ هل احتوت الأسهار كتابة عينى فى حياتك؟ قل لى كيف عشت ؟؟ كيف أكلت ؟ كيف شربت ؟ وكيف تزوجت ؟؟ ألاف الأسئلة حاصرتها.. إنى الآن أهرول إليك لتأخذنى من حياة الشقاء والوحدة والأحزان والحرمان إلى حياتك الحافلة بالحياة النابضة بالتجديد فهل جئت إلى الموعد فى تأخير؟

انى قادمة إليك يا محمود ألقى بين يديك عذاباتى.. إمسح على شعرى.. اربت على كتفى.. قبل رأسى فكم أنا فى حاجة إلى هذا الحنين.. كانت فى قمة التوتر إذ أنها راهنت فى الحياة أن تعود إليه.. وهكذا أخذتها أفكارها إلى أى مدى هذا الحب الماضى يعيش وهل إذا كان حياً فهل من حقها أن تأخذه من زوجته؟! انفردت بنفسها قبل سفرها إلى القاهرة تلملم شعثها وقوتها.. أرادت أن تتسلى ببعض الهيام فأخذت ديوان شعر إلى الكاتبة زينب يوسف التى تحبها.. ستأخذ هذا الديوان معها ليسليها أبان السفر.. تناولت الصفحات وبدأت تقرأ:

فى سفر الطويل
أعود إلى عينيك... أحلامى
قَضّيت دونك فى
الدهر برهة.. كانت أسقامى
أقلامى إليك حائرة
تكتب الحرمان.. فى الأيام

جرت دموعها إذا الهبتها الابيات وأبعثت فيها ثوران الوحدة والفراق فى أثر حب هزيم.. طوت الديوان ودسته فى حقيبتها الأنيقة وهرولت إلى الطريق.. ماذا سيكون بيننا من كلام؟

ماذا عن الماضى السحيق؟ ماذا عن لوعة الحب وحرمان الذوات والأجساد؟ ماذا عن الوحدة وماذا عن الفراق وماذا عن العودة إلى فيضان الهوى والعشق؟ كم أصبح شكلك يا محمود؟ لابد وأن ارتقاه المشيب ليبت فيك هيبة على هيبة وشموخ إلى الشموخ؟؟ إنى قادمة إليك وكفى.. إنى قادمة إليك لأراك.. امتع عينى من وجهك وعينيك ورجولتك.. قادمة أحمل فى قلبى حزن العمر الطويل.. أحمل فى قلبى حبك الذى لم أنسه ما حييت سارت

obeikandi.com

بها السيارة إلى الطريق الطويل.. جففت دمعتين هربتا من الرموش السوداء الصلبة.. طوى الطريق الطويل.. جففت دمعتين هربتا من الرموش السوداء الصلبة.. طوى الطريق السفر السيارة فتناولت الديوان

(قالوا فى سويداء العشق كل الأبيات
ولكنهم لم يروك فأنت قلب الحياة
لو رأوك لكتبوا كل الصفحات أبيات
لو رأوك لأبدل القدر بالحياة الموات
أنت فؤاد العالمينا حفظ فينا البسمات

وصلت أخيراً إلى مقر الجريدة اليمنى تتقدم واليسرى تتخلف ولكنها قاومت التردد والقلق.. تقدمت إلى السكرتيرة وعلمت أن (محمود) فى مكتبه.. كان عدد المنتظرين كثير وهكذا فهى ستقع فريسة القلق ساعة على الأقل.. سألتها السكرتيرة عن أسمها فقالت (إيمان.. قولى له.. إيمان أحمد)

- هل هناك موعد سابق؟

- لا.

obeikandl.com

- ما هو الموضوع؟

- خاص.

أمرت لها بالانتظار وكوب من الشاى.. الانتظار كان طويلاً فراحت إلى الديوان

(إنى انتظرتك فى تاريخى قدراً لا يغيب

إنى انتظرتك فجراً يمحو فينا عصراً كئيب

إنى انتظرتك المسيح لا يحمل فينا الصليب

إنى انتظرتك لحنا من حبيب إلى حبيب

رشفت آخر رشفة من الشاى مع نداء السكرتيرة آذناً لها بالولوج.. هى بضع خطوات لتلتقى بالموعد.. الزمان يعود يحتوى الدهور ثوان.. هى برهات وأتطلع إلى كل الذكريات والعمر الذى فات.. طرقت الباب بلطف فجاءها صوته الذى لم يتغير أدخل تقدمت بضع خطوات ثابتة بطيئة مدت يدها إلى السلام.. تلامسا.. جلست فى هدوء يسحقه القلق اختلست نظرة إليه تبعتها نظرات من طرف خفى.. هو هو لم يتغير الوجه العارم الذى يميل إلى السُمره... العينان السوداوان اللذان يتفجران حياةً وعطف ومودة

obeikandl.com

قسمات هى الرجولة والجدية.. أما هو فقد أخذته المفاجأة بحث فى سرعة البرق فى ذاكرته عن هذا الوجه.. أخذه التذكر دقيقة.. لم يقطعها إلا صوتها العذب فى وجل

إيمان.. إيمان أحمد

لم يرد دائماً أخذه التذكر.. تذكرها.. إيمان ؟

بعد عشرين عاماً إيمان ؟ آه يا إيمان وقد رأيتك بعد طول حرمان؟!

إعتلته ابتسامة بطيئة تدريجية وانبعث صوته من هول المفاجأة.

- إيمان ؟؟ إيمان أحمد ؟؟

- نعم.

اكتسحها الصمت إذ عقلت المفاجأة العقلين واللسانين فى سرعة البرق جاءت كل ذكرياته.. المنصورة بلدة المنشأ.. كلية الطب بسنواتها الست. الحب الكبير الذى خلف حزناً و هشيماً..القصائد التى تشتكى الوجد المقالات التى كتبتها لها وعُلقت على الجدران تشتكى اللارد.. كل شىء قد انبعث فجأة.. ابتلعهما صمت رهيب.. شعر أنه لابد أن يتكلم:

أهلا يا إيمان

أهلاً يا محمود

- أسعدتنى الزيارة.

- لم أرك منذ عشرين عاماً.

ولكنك كما أنت

- اعتلاك المشيب

- الدهر

أنت أقوى من الخطوب يا محمود

- شاى؟

- نعم

- رفع سماعة المسرة أمراً بألا يزعجه أحد حتى مكالمات المسرة ومع أمره كان الشاى.

- عشرون عاماً يا إيمان.

- كبرنا

- كانت لنا أيام.. أين زوجك وأولادك؟

- طُلقت منذ عام ولديّ ابن اسمه (محرم) وابنة اسمها (ندى)

- لقد تزوجت بعد التخرج مباشرة.

obeikandl.com

- وأنت

- أنا تزوجت منذ عشرة سنوات فقط

- تأخر زواجك

- كنت أبحث عن شريكة العمر

- ووجدتها.

ناولها صورة

- ها هى زوجتى ومعها ابنى الوحيد حاتم.. وفى لمح البصر أتت على قسماتها.. كانت الصورة كبيرة حتى ترى كل وجهها واضحاً.. رددت فى نفسها (الجمال الأسمر)

- ناولته الصورة.. ابنك رائع.

- وفيم قدومك؟

انتظرت لحظة غاب العامل بعد أن أحضر الشاى ثم تحدثت

- ابنى محرم

- ما به؟

- ابنى يا محمود وقع فى مشكلة كبيرة.. اختلف اختلاف جذرى مع أحد الأساتذة بالجامعة ابنى لا يصحو من النوم إلا متأخراً فهو

obeikandl.com

مشغول بالكمبيوتر والأنترنت.. مهمل وهذا الإهمال قد أتى عليه.. المدرس لا يعجب به انه لا يحضر محاضراته لامه من أجل ذلك فامتد اللوم إلى شجار.. لا أحد لى فى هذه الدنيا زوجى لا يعطى للأولاد اهتمام.. أخبرته بالكارثة ولكنه لم يفعل شيء وهكذا كان يجب أن أتحرك أنا لا أعلم فى علية القوم سواك.. (محمود) أرجوك قف جانبى.. انقذ مستقبل ابنى.

- هذا أمر بسيط.. اطمئنى.. سأعمل كل جهدى حتى لو سافرت إلى المنصورة بنفسى.

- كم أنا سعيدة بالاهتمام.

- كم كنت أود أن أقول لك منذ عشرين عاماً ألا تتزوجى حمدى.. إنه فاسد.

- هذا هو قدرى.

كان محمود فى عالم آخر أذهلته المفاجأة.. أخذ يفكر بينما يحادثها وقد تعود على ذلك لكثرة المجالس الثقافية أدرك فيها الحب القديم.. عيناها كما هى لم تتغير.. قسماتها مازالت تفيض خجلاً.. لمساتها مازالت متوترة تشكو الحب أدرك فيها كل حب

الماضى. هى هى كما كانت منذ عشرين عاماً ولكن الشىء الذى لم يحتسبه هو ذاك الحنين الدافق الذى اكتسحه.. تعجب أو يكون الحب مازال نابضاً.. أراد أن يأتى على أمره.. اختلس نظرات إلى عينيها.. تفجرت به كل أمارات الماضى ومعها الشوق الجديد.. ذُهل.. من المستحيل أن يعيش الحب المهزوم كل هذه السنوات؟؟ اكتسحه القلق.. أين كنت يا إيمان الآن تجيئين بعد عقدين بثورة الحب؟! الآن بعد طول حرمان تأتينى مصفدة بخيانة الزوج ووحدة الحياة.. الآن تجيئين يا إيمان بكل زخم الماضى.. بفتوة الشباب وثورة الجامعة والحب الموار الذى ملأ حياتى.. أنت الآن البارود الذى يفجر حياتى فى كأس من خمر لذة للشاربين كأس جنة الخلد على الأرض.. وأنت جنتى ونارى.. لم أتوقع أن ينبعث الحب مارداً محطماً كل السدود كما يحدث الآن.. لقد صمتُ عن الزواج عشر سنين كنت فيها الرفيق.. حتى وجدت زوجتى فأصابت معى الأنس محال.. محال أن يأخذني الحب عبر كل هذه السنوات إلى هذه اللحظة التى أشعر بها أن الحب ما قد مات وما قد ضعف.

(الحب يعود هناك من خلف السنين
يعود قدراً مكتوباً فوق الجبين
الحب يعود من خلف كل المعذبين
يعود بسماً يتوج حياة التائهين
أتيت يا إيمان بالماضى الرحيب.. الثائر.. الفتان
أتيت تزلزلينى عشقاً مدوياً فى كل البلدان
أتيت إليّ بقدر جديد يخلق فى الحب أزمان
أتيت من خلف كل الفناء والقبور والأحزان
أتيت بعد فراق سر مدى عَذّب الانسان

أتيت يا إيمان ولن أفارقك.. اللحظة عادت من أجل أن تُصّوب فيها الأخطاء والبهتان.. ماذا حدث فى هذا الكون العريض؟ كيف يعيش هذا الحب.. رغماً عنى طوال هذه السنوات؟!

كلا.. الحب لم يمت.. لقد دفنته هناك فى أركان نفسى المظلمة.. سجنته.. عذبته.. أجعته.. أبحت فيه ألوان العذاب من ارادتى ولكنه استعصى عليّ.. قال لى من أين ستجىء بهذه القسمات الجميلة.. أين هاتان العينان الزرقاوان اللتان اختزلا كل جمال العيون.. أين

هذه الشخصية الطروب؟ أين هذا الوجدان الطاهر؟ وأين هذا الحب السرمدى الجسور؟ فشلت يا إيمان.. فشلت فى قتل حبك ولكن الشىء العجيب أن يعود فى خلال دقائق ومعه كل زخم العشق والسنين. اللحظة ينفجر عقلى أفكاراً.. يلتهب قلبى حباً ووداداً.. يتطهر وجدانى كأنى فى أروع درامات العالم أَوعدتِ يا إيمان؟ أو عادت الذكريات الحلوة.. أو عادت لحظة نحطم فيها رغبة الفراق؟ أتيت بالإيجاب، فى فجأة من عمرى.. كلا لم يفت العمر.. الزمان فى أيادينا ونستطيع أن تنهل من الحياة ما نريد لنعوض به كل حرمان الماضى وكل نداء الحاضر.. أدرك فيها هذا الحب الموار الذى لا يمت وهكذا فقد أصر على اللقيان.. لن يدع الفرصة تفوته.. اللحظة تكون لحظة المصارحة بعد ربع قرن من حب هزيم.. استجمع قواه من فرط التفكير لينتبه إليها..

- مازلت جميلة يا إيمان.

- وأنت كما أنت.. مازلت الفارس الوحيد فى العالم.

- كم أنا سعيد أن رأيتك

- وأنا أيضاً.

- كيف تعيشين وحدك؟
- أقرأ
- لمن ؟
- لك.. أنا أتتبعك منذ أن علا نجمك.
- تقرأين لى فقط.
- وأقرأ لشاعرة نابهه تسمى (زينب يوسف) وهاك ديوانها الثالث (تناوله الديوان)
- زينب يوسف.. إنها زوجتى؟
- زوجتك؟!!
- نعم (زينب شاعرة.....
- نابهة.. قرأت لها كل الدواوين.
- خمسة؟
- نعم
- ماذا أحببت فيها؟
- حبها لك.
- وأنتِ؟

obeikandl.com

- ماذا تقصد؟

- إيمان... أنا لن أضيعك هذه المرة

- ماذا تقصد؟

- أنت تعلمين ماذا أقصد.. قصة حبنا كانت نبراس العاشقين منذ عقدين من الزمان.

- محمود

- إيمان لن أُضيع هذه الفرصة ما حييت.

- الحب.. الماضى.. الذكريات.. كل شىء مازال فى ذاكرتى كأنه اليوم

- أنت التى ضيعت الحب.

- أنا؟

- نعم. ذهبت إلى رجل غنى رغم كل سوآته.. لقد تركتينى وحدى منذ عقدين والآن تبكين زوجاً خائناً.

- كانت لى تطلعات.. عشت فى شظف ولم أرد أن أكمل حلقات حياتى فى شظف.

- هذه هى الحقيقة التى تأتى أخيراً.. الحمد لله أنك لم تنكرين.

- هذا هو عار فكرى.. نعم يا محمود.. لقد أحببتك الحب

obeikandl.com

الأكبر ورغم ذلك أعطيت نفسى لأول ثرى ولكن كان معه الأوجاع والأسقام والقدر الكئيب.

- نستطيع أن نبدأ من جديد.

- ليتها تكون يا محمود

- إيمان بعد ربع قرن من حب حزين أقولها لك إنى أحبك يا إيمان.

الصدمة سحقتها مرة أخرى.. لم تتوقع هذا الرد السريع

لقد أتت إليه علها تجد فى عينيه أملاً فى الحياة فإذا بها تجد الحياة.. أتت تحمل كل كروب الماضى للحظة أنس تنسيها أخطاء الماضى وأحزان الحاضر.. جاءت من أجل أن تلتمس طريقاً إلى حبها الوحيد فإذا بها تجده موّاراً زاده الزمان أوارا والفراق ناراً

- على كثرة السنين مازال حبك كما هو.

- حبى لك خالد خلود الخلق فى جنات عدن.

- مفاجأة.. بعد أن خط المشيب المفرق يأتى القران

- حبنا أصيل برغم كل المحن والكروب.

- أخطأت يا محمود بعتُ نفسى إلى المال فما وجدت مالاً وما وجدت حباً.

- كان يجب أن نتصارح كنت سأملأ الدنيا كفاحاً.. كنت بانياً الهرم الرابع وحدى.. كنت سافرت إلى العالم كله من أجل المال ومن أجل أن آخذك إلى حبى وعالمى.

-شىء عجيب ما تخيلتُ يوماً سنلتقى.. ولكن كلا.. كان هناك اليقين فى أعماقى يقوى عزائمى ويبث فيّ بأن هناك لقاء.. هذا هو اللقاء الذى عشتُ من أجله.. أنت فى حياتى لحظات السعادة وأنت الحب الذى لم يمس وأنت العشق الذى عاش معك كل السنوات الخالية فكنت وأنا أقرأ أفكر مراراً أن أكتب إليك ولكنى خجلت فقد توقعت أن حبك قد مات.

- حبيبتى.. ما مات حبى إذ حبى إليك راسخاً كالجبال حبى إليك قدرٌ قد صرّف فينا الأقمار وطلاها ليال حبى إليك لا يقبل العفاء وقد علم الأجيال كيف يكون الوصال حبى إليك هو أنا وقد حدثتنى نفسى بأنك إليّ فى نوال قد طغت فينا السنون فراقاً وضنت فينا بالظلال صدقنى أى حدث إلا أن يكون لحبنا قبرُ أو صدقيني زوال – حبيبى – حبك علمنى كيف أبدع الشعر عروضه نضال قد أموت ولكن حبك أقسم فى حياتى أن زواله محال أنت كل دنياى

المال واللقاء بعد فراق دام أجيال إنى أحبك فأحببت الحياة فسرتُ فى طريقك أميال.

- هو الليل قد أتى من جوف الأمسيات بأمل قديم هو حبك قد أقام لى نصراً يقع فى قلب الدهر حميم هو حبك أعطانى الدنيا ثورة قلمها من جحيم.

- كل شىء سيعود.. الحب والشوق والدرب الوحيد حبى قد عاد شاباً يصفد فينا الفراق قيوداً من جديد.. سنعود إلى الحب يا محمود.. سنعود بعد ربع قرن من جنون.. وبعد عقدين من زواج هو فى حياتى مجون.. سآخذك إلى جنتى.. لك فيها الأنا.. كلى ,.. الذات والقلب والوجدان المسجون.. هيا يا محمود إلى زمن جديد إلى حضن يلف الوجود أنا الوحيدة فى أرض من بوار... أنا وحيدة فى كل القفار.

فخذنى من نار الفراق إلى نار الالتقاء.

- كلى إليك.. سأعود فى الزمان شاباً الثورة فيه الدماء كلى إليك كل ما قرأتُ وكل ما كتبت وكل ما لى من إيحاء كلى إليك نروى حياتنا عشقا بعد أن أهلكنا الدهر ظماء قد آن للفراق أن يفارقنا

فهيا إلى حب بلا إنهاء

- وزوجتك؟

- ها هو الألم.

- أنا لا أعرف ماذا يمكن أن نفعل.

- إيمان.. لقد وجدتك بعد طول فراق ولست على استعداد أن أتركك، سأتزوجك.

- وزوجتك ؟

- زينب هى البلسم فى حياتى ولكن عليها أن تدرك بفطنة المبدعين أن الحب قدر.

- تحبك؟

- حتى العبادة.

- سيقتلها النبأ

- هذه هى الحياة.

- ستطلب الطلاق؟

- فوراً.. أنا أعرفها غيورة.

- محمود لا تقل لى أن أنسحب من حياتك.. ربما يكون الزواج

obeikandl.com

صعباً أو محالاً. فلأكن صديقة.. زينب تحبك حب العالمين.. هى كاتبتى المفضلة.. أحببت فى ديوانها الحب.. وهذه الدواوين هى ثورة حبها لك.. الصدمة ستأخذها إلى حزن مقيم إلى فراق مستديم.

- قد شبعنا صداقة يا إيمان.. الحب هو الحب والحب لم يمت حبك عطش السنين.. حبك قد أحيا قلبى الحزين.

- حبك فى ذاتى بقرار مكين.

- حبك فى حياتى حب امين

- حبك هو الياسمين والنسرين.

أخذها الموقف.. فأنهمر دمعها قام إليها... ربت على كتفها... جفف دمعها... أخذها فى أحضانه.. لم تصدق أنها فى أحضانه.. لا تصدق لحظة الأرتواء قد حانت... ما هذا الذى حدث؟! هذا هو الاحتواء.. تعب السنين قد راح فجأة.. مرارة الفراق تذوب.. هناك شىء جديد فى الحياة.. نسيت العالم والأحزان والمال والجيران.. صدمها هذا الاحتواء فأسالت فاسأل.. كانت تريد أن تقول لها.. أين هذا الاحتواء منذ الطفولة؟ أين هذا الاحتواء فى ظلمات الليالى التى سهرتها تفكر فيه بينما زوجها فى أحضان الغانيات؟ الآن ورغم

obeikandl.com

هذا الاحتواء المتواضع الدافئ تدرك السعادة وتنسى الماضى وتتطلع إلى ربيع يضمها إلى الحب الخالد.. أدركت الآن أن هناك احتواءً زائف قد شبعت منه وأن هناك احتواء الارتواء الذى لا يذهب سدى.. كم تمنت أن يمتد بهما الزمان حتى تنهل من هذه الذات التى أحبتها.. أما هو فقد أدرك الكثير.. الحنين.. أدرك أنه يحب إيمان.. هذا الحب الدفين المكين.. قارن بخبث الرجولة بين الاحتواء فأدرك فى إيمان الحب النادر القوى لم تأخذه السنين برود أو جفاءاً كم كان فى حاجة إلى هذا الاحتواء إذ بدأ يروى كل عطش السنين.

أخيراً يحتوى إيمان بين يديه يحتوى الجسد والجمال والعشق الرهيب.. افترقا والدموع تبلل خديهما فمازال يجففها.

- قد عاد الحب يا إيمان

- قد عاد الحب يا محمود.. قد فات الأوان ولابد من السفر.. ابنى ينتظرنى على أحر من الجمر.

- كيف سأراكِ؟

- أنا قادم إلى المنصورة لأصفى هذا الخلاف بنفسى.

أريد أن أسمع صوتك فى المسرة.

- كلى لك.
- ثم؟
- سأصارح زوجتى فى خلال الأيام القادمة.
- وأنا سوف أمهد لأبنيّ الخبر.

مر أسبوع وقد تلاقى الحبيبان من خلال أسلاك المسرة.. كان كل يوم يفجر بينهما حباً جديداً ورغبة عارمة لمزيد من هذا الاحتواء.. كان يريد محمود نصراً مع الأستاذ الجامعى ليكون له رصيداً لدى ابنها محرم وبالفعل توصل إلى موعد معه اليوم فى المنصورة وفى نهار خميس التقى بإيمان كان سعيداً إذ أنهى المسألة.. إذ أن محمود سيساعد ابن الأستاذ الجامعى فى حياته بأن يوفر له عملاً فى الجريدة التى يعمل بها محمود كاتباً.. وهكذا انتهت المسألة بتوفيق.. كان اللقاء جميلاً إذا التقيا بشوارع المنصورة من جديد لا يزال يذكر الطرقات ولا يزال الزحام يحصد الأنام.. هذه هى الشوارع التى كنت أختلف فيها إلى المكتبات والصداقات والجامعة هذه هى مدرستى الابتدائى كما هى ألا إن اسمها قد تغير هذه هى المدرسة الإعدادية وهذه هى المدرسة الثانوية.. وها هو المنتزه

الذى كان يجوبه.. وها هى القهوة التى كان يرتادها فى انتظار الأصدقاء أو من أجل القراءة.. هذا النهار فيه اللقاء.. قابلها فى نفس الكازينو القديم الذى جلس فيها أياماً حسرة الحب الضائع جاءت إليه فى شوق وقوده الموّار هذا الاحتواء الحار الذى لم تنسه.. قال لها أن المسألة قد انتهت وأن الأستاذ قد سامح ابنها ولسوف يتولاه عناية فى مقابل عمل ابنه بالجريدة

كانت طرقات المنصورة تبعث فيه كل ذكريات الماضى فأخذ ينهل من الذكريات.

- الليلة سأصارح زينب.

- والليلة سأصارح محرم وندى ماذا تنتظر؟

- لا أعلم

- الصدمة كبيرة.

- أخشى ألا يفهم الابنان الموقف.

- لن أضحى بك مرة أخرى يا محمود لقد تلاقينا ومن المستحيل أن نفترق.

- هيا بنا.

obeikandl.com

- أين؟

- إلى الجامعة.. إلى كلية الطب.. أريد أن أعيش لحظة فى ربوع المكان الذى أحببتك فيه.

كان كل شىء كما كان اللهم إلا جدراناً كبيرة من الأسمنت حاصرت كلية الطب كإمتداد إذ أن عدد الطلاب قد زاد.

- هنا أحببتك.

- لم أحضر إلى هنا منذ عشرين عاماً.

- الجدران هى الجدران.

- وآثار الزهور هو الآثار.

- هنا عشنا سوياً ستة أعوام.

- هنا كان الجوى والحب الحزين والمال.

كانت لحظات سعيدة ألقت فى حبها أثقال الوصال.. الماضى بعث الآن فى دثار من حنين.. كان سجن السنين هو الذى يتحدث.. تمنيا أن يعود الزمان ولكن الزمان لا يعود.. مرت الساعات بسرعة الضوء بين طرقات الجامعة وبين شوارع المنصورة.. هنا يتحدثان وهنا يقفان وهنا يحتسيان القهوة وهنا يبكيان ودعها بقبلة إلى

رأسها واتفقا أن هذه الليلة هى ليلة المصارحة.

زفت إيمان الخبر إلى محرم فارتفعت روحه المعنوية بعد أن أدركه اليأس إذ أن أستاذه كان عميداً سابقاً وله مكانة كبيرة فى الجامعة.. كانت إيمان تحاول أن تزج بالخبر السعيد اليه ولكنها كانت خائفة لأن البديل هو هجران ابينها.. صارحتهما بكل شىء.. كانت تتعامل معهما كناضجين.. يفهمان ما معنى الحب فى الحياة الكلمات خرجت فى صعوبة تتخللها الدموع.. قالت كل شىء قالت الحقيقة وهى هذا الحب المَوّار منذ عقدين.. وتحدثت عن شقائها مع الأب حتى يكبرا ويصيب النضج فيهما ما يصيب.. ساد الوجوم.. ثار محرم ثورة عارمة وقرر أنه لن يكون أحداً مكان أبيه هطلت دموع الإبنة وقد صرخت بأن هذا لن يكون.. الصدمة كانت قاسية ,, استمر الحوار ساعات ولكن الرد النهائى من الابنين هو الفراق وبالفعل تحدث محرم إلى أبيه عبر المسرة ليأخذهما لديه.. المفاجأة كانت قاسية لم تتوقع هذه الثورة وهذا النفور

جاء حمدى على الفور صفعها بكت هوت على الكرسى فى وهن.

- أنت غانية هذا هو محمود الآن أتذكر كل شيء.

قبل أن أتزوجك كان هناك ممن أسروا إليّ أن قصة حب قد اعتصرتك مع زميل يسمى محمود.

- لم أكن فى يوم من الأيام لك.. كان المال ضحيت بحبى من أجل مالك.. لم أكن أريد أن أكمل مسيرة حياتى من فقر إلى فقر.

- إذن لا تحبينى.

- لم أحبك يوماً

- كنت تتطلعين إلى مقالاته فى نهم وشوق

- أنت الماضى الآن فى حياتى.. وليس من حقك أن تلومننى

- سآخذ الأبنين

- هما لك عاقان.

- أنت غانية

- قل ما تشاء لقد التقيت بمحمود ولن أفارقه.

- والإبنان.

- قَضيتُ فيهما عمرى كله.. عشرون عاماً من الصبر والآلام والوحدة وقد أن الأوان لى بأن أسعد.. لم يفهمانى.. هما فى رعونة

الشباب.. لا يفهما.. الحياة ولا الحب ولا أن يعيش الإنسان جسداً كما عشتُ معك.. أنا لى عقدين من الزمان فى موت.. أكلتنى مزقتنى غزوتنى و حطمتنى.. رحت إلى كل البارات وإلى كل دور البغاء اتركنى مع حبى أعيش ما قد تبقى من عمرى.

الصدمة كانت شديدة ولكن إصرار إيمان كان فى منتهاه وقد أقسمت أن تحارب كل المجتمع من أجل الحب فالزوج قد أشهر قصتها فى ربوع المجتمع المنصورى الريفيّ ولكنها مع كل اشهار كان هناك إصراراً.

أما هو فقط كان فى موقف صعب.. ماذا سينوى لزينب بعد هذا الحب العريض؟ ستطلب الطلاق وتعيش مع ابنهما (حاتم) سيحرم من ابنه الذى سيعيش حياة ممزقة.. الحب أخذه من كل شىء.. أدرك لحظة مناسبة.. اختطفت من بين الكلمات.. كلمات.. ساد الوجوم.. صمتت صمت الذاهلين تدافعت إليها عشرات الأسئلة. هطلت الدموع.. أدركت زينب أنه لم ينس حبه القديم.. فماذا هى أذن فى حياته ؟ دور منتهى الأجل قد خر صريعاً أيام القدر الذى فات أين الحب والوعود والورود والخطابات

والقبلات أين الطموح.. هى تدرك أنه أستاذها فى الثقافة و الأدب والسياسة ولكن هذه الأستاذية لن تغتالها مرتين.. أدركت من كل شىء.. أدركت الحب الذى ملأه سعادة وحددت اليوم الذى رآها فيها.. اسمها (إيمان) وأنت لها فى إيمان بعد عشرة سنوات تنتهى حياة الحب تتصدع الدار يتمزق الأبن.. إلى هذا الحد هذا الحب إلى هذا الحد يأخذك الحب ؟ عنى.. عن زوجتك؟! عن ابنك ؟ عن المجتمع الذى سيلومك ؟ إلى هذا الحد هذا الحب الخالد؟! إلى هذا الحد هذا الحب الذى ما مات رغم عشرين سنة من الفراق أين هى؟ ما هو لون عينيها ؟ ما لون شعرها؟ طويل أم قصير؟ جميلة أم قميئة؟ لابد أنها جميلة فأنت تحب الجمال.. هددت بالطلاق ورفضت أن يجفف دمعها.. لم يستطع أمام ثورتها أن يقاوم فكرة الطلاق لكنها أصرت أن تحتفظ بالأبن إلى الأبد فوعدها فى هذا الشأن ما يجب أن يكون طلبت أن يكون الطلاق فى نفس الليلة وقد كان وطلبت أخيراً بأن تراها.. انفجر مجتمع الكُتاب بالأبناء كانت زينب محمودة فطالها الدمع الهتان من الجميع.

استنكر العالم هذا الصنيع ولكن محمود كان مصراً على الزواج.. تحدى الجميع إذ أن حبه الأول قد أخذه تماماً فى صباح جديد كان رد زينب إليه على صفحات الجرائد

أيا حباً أعطيته حياتى الدجال أنت زيفٌ تجرعته مساء
يا خداعاً قد أظل الدنيا أودعك دون نور الأنبياء
كنت أحسبك المسيح فإذا بك الدجال بلا علياء
قد رحت تكتب الشعر فى كل الأرجاء فتلفظه الأرجاء
قد رحت أمام المداد غفوةً يلا حقنا فيها الشقاء.
قد حكمتنا عقداً فأتيت علينا سطوة نحن فيها أشلاء
قد مات الحب فدفنته دماء وضينت علينا بالعزاء
يا ظلماً قد صادر الزمان ما عاد فيك من رجاء
أنت ابن سلول أنشدت فينا النفاق أصداء
فاذهب إلى المساء ولتودع فينا أقلام الأدباء

كان وقع القصائد رهيباً أخذ لزينب كل الوسط الثقافى الذى أصبح فيه محمود معزولاً لا يلقى فى أحد الفهم أو إدراك قصة حبه. كان يعلم المسألة كانت زينب تعتقد أنها وحدها على عرش

قلبه ولكن أتت الرياح بما لا تشتهى السفن.

كانت زينب تعتقد أنها الحب الأول والأخير ولكنها أدركت أنها الحلقة الثانية الضعيفة فى حياته.. أدركت أنها كانت البديل لم يكن يحتضنها بل يحتضن حبه الأول ما كان يلمسها هى لا زينب.. هى التى ألهمته هى التى ألهبته.. هى التى انضجته.. هى التى أحبت حباً على طول الزمان.. عشرون عاماً وحبه بلا موت عشرون عاماً من الفراق.. فأين أنا فى هذه السنوات الكثار؟! زينب هى الضائعة فى ملكوته.. هى الجسد الثانى.. هى القلب الثانى.. هى من ضحى بها من أجل اللقاء فى النهار واللقيان السعيد فى الليل.. أصرت زينب على لقاء إيمان.. كان اللقاء صعباً حاولت فيه إيمان التهرب ولكنها أصرت كان اللقاء صعباً.. كل منهما تزن الأخرى هذا هو الجمال الأشقر وهذا هو الجمال الأسمر.. هذه هى الشخصية البائسة طوال عقدين وها هى الشخصية التى خُطف فيها حلمها فكان حزناً طويلاً رغم قصر أجله كانت إيمان مقبلة وزينب مدبرة. أوصت زينب إيمان بالإخلاص وأنها هى التى تستحق الحياة مع محمود هنأتها لحب استمر ربع قرن رغم كل مصاعب الحياة..

أوصتها بعض التوصيات التى لن تجدها إلا عندها.. اللقاء كان قصيراً صعباً ارتوى من دموعهم.

- أنت تحبينه يا زينب.
- هو أستاذى وحبى
- استمرى فى كتابة الشعر.
- ولدى الآن هو الشعر والقلم.
- قلبى معك
- إلى اللقاء.

بعد أسبوع كان حفل الزواج كبيراً، لم يحضره أحد، ولكن (محمود) و(إيمان) فرضا رأيهما على العالم.. قد عاد الحب يتحدى كل شيء.. الأبناء والزوجة والمجتمع، لاحت إذن الفرصة لاحتواء أبديّ فراحا إليه بعشق موار.

obeikandl.com

(١٣)
نهاية

ودع أمه فى عمل وراح إلى الطريق الهام.. لا يريد أن يتأخر عن هذا الموعد.. لا يريدها أن تنتظر.. دى يده فى جيبه فإذا بها تأت على بعض الجنيهات فتمتم (معقول).. حشر نفسه فى الاتوبيس فى حرص ألا ينتشل... طارت عيناه إلى الطريق.. فالطريق لا يزال طويلاً إلى ميدان التحرير.. باقى إلى الموعد نصف ساعة سيصل حتما فى الموعد.. كانت أمامه سيده سمينة حاصرته بجسدها فإذا به يستسلم إلى هذا الجسد اللين.. حدجته بنظرة شهوانية كأنها تأذن له بأن يغوص فى جسدها ففعل.. عندما غاص بها غاصت به وابتسمت ابتسامة ذات معنى.. وجد فى هذا التداخل السلوى فى طريقه الطويل من شبرا إلى ميدان التحرير.. لامه الكمسرى بنظرة ولكن المرأة دعته بألا يتحدث وينغص عليهما هذا اللقاء الساذج.

الزحام كان شديداً فإذا بهما يغوصان إلى عمق ما.. تجمع

obeikandl.com

حولهما عدة ركاب لعل أحدهما يفوز بغوص منها.. الحرارة أتت عليهما فى هذا النهار من شهر أغسطس.. فذابا.. التحما.. تداخلا.

تعمد بعض الركاب أن يضايقونهما ولكنهما كانا فى شأن آخر مضت الدقائق تحتوى هذا التداخل حتى جاءت محطتها فودعته بابتسامة منتشيه راحت قبل أن تودعه إلى أن تلاصقت به سائلة الكمسرى.. هل هذه هى المحطة.. فرد (نعم) ودعها الركاب بنظرات ولكنها أخذت طريقها بسرعة إلى الشارع تمنى أن تكون حبيبته فى مثيل هذا ولكن هذا الذى لم يعد بعد.. الالتصاق الساخن فجر به هذا الحرمان إلى حبيبته ولكن الفقر الذى عصره كان له بالمرصاد فبدد الحلم الهزيم إلى غير رجعة.. أعد المحطات وعندما لاح ميدان التحرير نزل يودعه الركاب بمزيد من حقد وحسد.

ليس هذا هو الموعد الأول ولكنه على الأقل الثلاثين وميدان التحرير هو المكان الذى أعتادا أن يتواعدا به، شق طريقه وسط الصفوف حتى وصل إلى المقهى.. أستقر إلى أحد الكراسى وطلب من النادل المشروب العام الرخيصة (شاي) الباقى.. ربع الساعة فأخذ يسلى نفسه بأن يأتى بنظراته إلى كل تلك الأجساد النارية التى تطوف بميدان التحرير.. ما أجمل هذا الجسد.. ما أروع هذا

النهد.. ما أعظم هذه السيقان.. ما كل هذا اللحم الثورى الذى يجول وحده فى هذه الطرقات؟

رأى فى كل هذه الوجوه وجه حبيبته رانيا ورأى فى هذه الأجساد المشتعلة جسدها الناصع الجميل.. لعن العالم.. كل شىء أمامه.. المال.. الجسد.. الحب.. ولكنه دون كل ذلك صفر اليدين.. الفقر راح يلتهم حياته ليحوله إلى متسول حب وإلى معدم وسط كل هذه الأبراج الاسمنتية.. تساءل أين أنا وسط كل هذا الزحام ؟؟ أين طموحى وآمالى وسط كل هذا الضجيج.. لقد تخرجت من كلية الزراعة ولكنى لا أجد الزراعة ولا أجد المال.. بمعجزة التحقت بعمل فى مطعم كشرى براتب مائة وعشرين جنيهاً تذهب إلى المقاهى والسجائر.. كم أنا ضعيف.. كم أنا فقير.. كم أنا مبتور الآمال.. وكم أنا فى يوم من مستحيل يجىء إليّ بالمال.. لا أستطيع السفر ولا أستطيع العمل ولا أستطيع أن أتزوج من أحببتها وأحبتنى.

أشعل سيجارة زافراً الهم والوحدة والحرمان.. رشف رشفة من الشاى.. سرى فى ذهنه بعض النشاط واليقظة.. اختلس نظرة إلى الساعة تدق السادسة بعد العصر ومع هذا الاختلاس ظهرت حبيبته.. كانت قادمة فى شوقها البالغ.. الابتسامة تزين وجهها

obeikandl.com

فتزيدها روعة وتألقاً وجمالاً.. شعرها المجنون قد اسنال فى جدائل حتى ما بعد الرقبة فراحت تنظر فى كثير من الدلال.. رداءوها البرتقالى الثورى قد إنسال على هذا الجسد الذى يميل إلى السمرة حتى الركبتين وعلى الفور راحت عيناه إلى الساقين فاشتعل جسده جنوناً.. مدت يدها اللطيفة إليه فاحتواها وأرسل إليها نظرات الاشتياق هى جميلة الجميلات فى نفسه.. المرحة.. الطروب.. الجميلة..المثيرة.. هى التى حولت حياته من الوحدة إلى روعة الأنس.. وهى التى حولت حياته من الإهمال إلى ثورة الكفاح ولكن الكفاح فى عالم الفقر لم يأت بجديد هى التى أشعلت حباً وشوقاً وهى التى حولت جسده إلى بركان والحياة إلى زلزال بل هى الحياة فى حد ذاتها.

علت وجهه ابتسامة رقيقة يخفى بها احباطه المستطير.. يخفى بها الفقر والعوز والعجز... ويبدد بها مراراة الأبيات التى لطالما يجترها فى صلب وحدته وحزنة.

(ألا يا ليالياً حطمت فينا الأمل والنهار
أنت العوز يجيئ لنا جداراً وراء جدار
كفلك بطئاً كفاك خريفاً حطم الأشجار

openkandil.com

أنت فينا نصل من فقر قد دار بنا ودار
فما المصير فيك وقد جبنك إلى الأسفار؟
حاصرتينا فقراً وظلماً فأين منك الفرار؟
أتيت بالحرمان على حبنا وأحرقت كل الأزهار
أنت الهزيمةُ والقيود وأنت من الغيث آذار
فياليالياً أتيت على الآمال وأحلت الحنان إلى قفار
قد أصبحنا الهشم فاحصدى فينا مزيد الحصار

كانت أبيات الشعر والروايات والسينما والصحف تأخذ منه الكثير من وقته.. كان يريد أن يعرف ماذا يحدث فى هذا العالم.

فأجابت الصحف بالحزن والروايات بالوحدة والأشعار بنزيف المشاعر.. هذه هى تسليته الوحيدة.. أن يعود إلى كتبه القليلة. كتب الدراسة وهذه الكتب الكثيرة التى قد اشتراها من مشروع مكتبة الأسرة.. كتب قيمة بسعر قليل وهكذا أنشأ مكتبة متواضعة جداً ولكنها تؤنسه فى هذا العالم المكتظ بالمعلومات المزدحم بالأفكار.. شىء آخر وجده فى هذه الكتب إنها المعانى الجميلة التى كانت تتفجر بين جنبيه فيهديها إلى رانيا.. كان يعرف طلبها فنادى الندل وطلب فى لهجة سريعة ودوده قهوة سادة.. رانيا كانت فى

obeikandi.com

رجيم قاس حتى لا تسمن ولأنها كانت تعلم أن هذا الجسد فى صلب اعجابه بها فأرادت أن يكون مثالياً.

- كيف حالك.. لم أرك منذ خمسة أيام.
- أنت مشغول وأنا أبحث عن عمل.
- وهل أهتديت إلى عمل
- لا.
- وما الحل؟
-الصبر.
- حسبنا الآن له عامين.. تسكعنا فى الشوارع بما فيه الكفاية.
-عليّ.. أنت فى حياتى العسجد والجمان
- وأنت فى حياتى حباً أتانى فإذا أنا سلطان
- حبك هو الوداد الشوق والحياة والشطآن
- حبك هو كل هذا العالم رغم ما بنا حرمان
- حبك هو الزهور والياسمين والرضوان
- حبك آتانى أحالنى فارساً وفتى الفتيان
- حبك علمنى الشعر وأعطى لعمرى المعان
- حبك هو الثورة فى هذا العالم الدنىء نيران

obeikandl.com

- أنت فى حياتى الوجود والتدفق والثوران
- ما كنتُ قبلك ألا وحيداً أجتر كل هذه الأحزان
كنتُ أجوب الشعر فما أرتوى من كل الألحان
كنت أقرأ فى الكتب عن اليابان والرومان والفرسان
حبك أتانى علمنى الحياة فى ثنايا الجنان
أنت كل العروس واللقا بيننا فى الكون الصولجان
حبيبتى قد جافانا الزمان وسجنتنا كل الاحزان
ولكن إليك نور قدِ أشار له فى عالم البنان.
- وماذا بعد؟
- اللقيان
- وماذا بعد اللقيان؟
-اللقيان.
- وماذا بعد اللقيان؟
-اللقيان

حبيبى قد أخذت الطيور السوداء كل حياتى فقد حاصرنى السحاب وجلدنى الحرمان إلى الموات وقد جف الشعر والنثر وبقى فى يقينى الحزن آيات

obeikandi.com

الدنيا ظلومة والفقر باطش وقد أحالنا إلى الرفات
- واللاهى ما أنا بتاركك فأنت لى كل البدايات.
ونور الله ما أفارقك فأنت البدايات بلا نهايات.
وماذا بعد الشعر والقسم؟
- اللقيان
- نحن فى عالم ظلوم قد أغشانا هِرماً وظنون
نحن فى عالم مجنون المال فيه كل هذه الظنون.
نحن فى دنيا صادرت الأحلام وسحقت اللحون
- نحن فى عالم من زحام عنوانه الوحيد هو الشجون
- ووالله. ما أنا مفارقك مهما طالت السنون
ونور الله ما أباعدك فأنت فى حياتى الأمل الحنون
- أقسم بحبى ووحدتى وجنونى ألا يكون إلا الجنون
- فحبك علمنى الإخلاص علمنى كيف أقول كن فيكون
أو قدرى كم من عاشق مهدم المحراب مجنون،
- كم مليون
- أكثر من مليون
- حتى لو كانوا بعدد كل الغصون.

حتى لو كانوا كبيوت الشعر الثورى المجنون
حتى لو كانوا بعدد ما فى هذا الكون من سجون
حتى لو كانوا كل الظلمات تسحق العدل تمحو القانون
حتى لو كانوا بعدد عبيدك ومعهم الدمع الهتون
أقسم بنور عينيك.. بالدموع. بالهجر.. بالزيتون
لتكونى لى فى عالم قديم قليل فيه القرون.
- متى؟
- عندما يأتى الجنون.. عندما نقتل السنين
- قد مضى ما قد مضى بالآن نحن محطمى السنين
- هواك فى حب جسور لا يبتغى الارتواء الحنين
- فأين نذهب من قدر من حرمان نصله فينا دفين
- وأقسم بدمع عينيك إلا أن نكون سوياً نحطم السنين
- متى؟
- هناك مع الصباح القادم وقلبى يحترق أنين
- عليّ قد كفانا الشعر سواً ما هو الحل؟
- لا أعلم
- أنا أشتاق إليك

obeikandl.com

- وأنا الجحيم
- أنا قرأت فى عينيك كل شىء.
- ماذا تقصدين؟
- عليّ لا أمل فى الزواج.. الفقر يعصرنا وأنت بالكاد تعمل بمائة جنية لا تكفى إلا هذا البركان السجائرى. بحرق قلبك وصدرك.. لا أمل.. نحن فقراء.
- لا يمكن أن نفترق.
- لن نفترق ما حيينا
- إذن ما هو الحل؟
- قرأت فى عينيك اللقيان
- ماذا تقصدين؟
- هيا إلى المهد.. كم أنا خاجلة ولكن هذا ما يجب أن يكون
- ماذا تقولين؟
- حبيبى هو الحرمان قد أحرقنى وطردنى إلى عالم من عذاب أريدك فى فجر جسدى لقاءً يأخذ فى الدنيا كل الألباب أريد أن ترسم حبنا على نَهديّ سحقاً يأخذ من كل الإعجاب أن جسدى قد اكلت عقلى تريد منك قبلاتِ عِذاب حبيبى خذنى إلى جسدك

obeikandl.com

عارية إلى درب بلا مآب أن خلايای تريدك غازياً فهيا إلى رحيقی أكواب هيا إلى جنس وحشيّ يبدد فی حياتينا فقر السحاب

- حبيبتی أنی إلى هذا الوثن من العابدينا مشتاق
قد أقل الفقر زواجنا فهيا إلى المهاد بشبق سباق
قد عبدت جسدك فی جسدی فی سطوة من إملاق
هيا نبدد الحزن هيا نحطم عالماً ظلوماً طرحنا فی فراق
هيا نرمم الأحلام بجسد واحد لا يعرف الشقاق
فشفتاك هی المنهل ونهداك فی جسدی احراق
هيا أروی رحمك شعراً قد كتب فيك العذاب أوراق.
هيا إلى التداخل فيكون فی دنيانا ذلكم الإشراق
يا كل أوثان الظلم سنلتقی يا كل الحرمان قد عدنا إلى العناق.
يا كل الجوی الذی أحرق مهدی حبنا الآن يطول الأعناق.
دمايا إلى اللقاء شغوفه.. بكارتك لی حنان مهراق.
المهد ينادينا شوقاً وبنانی فی ثديك يعلمه التمرد والأخلاق
إن لی فی جسدك الثورة والطريق إلى جسدی حتی الالتصاق.
الجنس فی حياتنا هو الدرب الثّوار هو فی عشقنا الميثاق
ليكن.. سنتحدی العالم.. سنذوب كما حلمنا.. سننهی العادة السرية

ونتحول إلي لحياة الحقيقية بقلبين من نار.

غداً.

- هذا زمن سحيق.

- أعرف صديق يعيرنى شقة أُمسية

- سأتصل بك هذا المساء.

لم تستطع أن تقاوم أكثر من ذلك فقد ناداها الحب لينهى سنوات الحرمان ولكن الغصة كانت شديدة شعرت أنها تخون الله فى هذا الزنا المجنون القادم. وتخون أباها وأمها وأخوها أحمد الشاب الصغير ماذا يمكن أن يحدث لو علم أبوها؟ ما هو مصيرها مع هذا الفقر. كانت تعلم أنها تفرط فى ذلك الشىء الذى لا يعود.. أنه البكارة.. الشرف.. الأخلاق الضمير.. كان الحرمان أقوى.. كل ذلك احتواها وأشعل قلبها ووجدانها وأتى على جسدها كله.. فى هذا المساء وتركها إلى الخلد فى تمام الحادية عشرة وهو الموعد الذى يتحدثان به رد عليها وقال أن كل شىء معد.

وكان اللقاء:

هيا ارتوى من دمايا من جسدى من هذين النهدين اكتب بجسدك الجنون فى جسدى يسرى جنتين إنى لك.. عذرية لا أريدها

obeikandl.com

فلتذهب إلى الجحيم هيا كُل الحروم وأشعل رحمى جحيماً إلى جحيم
ما كنت أعتقد أنك بك هذا الجلال والجمال
ما كنت أعتقد أن تلكم الرحم فيه كل هذا الزلزال
ما كنت أعتقد أن هذا الجسد صاحب هذا الدلال.
إنى الآن أكتب على نهديك تاريخ كل الرجال.
إلى الآن احتويك فلا أبقى لك هذى الليالى
الدهر عذبنا سنيناً الآن نلنا منه هذا النوال.
الآن الزمان ينادينا إلى أيام راسخةٍ كأعالى الجبال.
الآن أنا أنثى.. علمنى جسدك الثورية والجمال.
- كم كنا أطفال.. كم كنا فى هذا العالم سم القتال
كم كنا صغيرين فى مآرب الدنيا أضاعتنا بلا ظلال.
-اليوم نتحدى العالمينا فحبنا لن يلقى بعد الآن الزوال.
قد آن لجسدينا أن يثور وأن يقتل فى الدنيا السؤال.
قد آن لحبنا أن يعلن النصر وأن يجوب العالمينا فى اغتيال
فهيا إلى كَرّة أخرى لأنسى فى حياتى مرارة الحلال.
هيا إلى كل المهاد نقتل الحزن فإن عاد فله منا اللقا توال
هكذا مضت الأيام.. تشدو بهذه اللقاءات العاصفة التى لا

obeikandl.com

تزيدهما إلا وحشية وجنونا وثورة ورغم كل ذلك فمازلت أحزانها.. كانت تعلم أنها فرطت وأن الله يلعنها فكفت عن الصلاة فى ذاتها فباعدتها.. كانت تحتفظ على المنضدة الصغيرة بصورة والدها فعزلتها إلى ركن قَصى فى دولابها وهكذا برغم عقدة الذنب التى امتلكتها كان الحب الموّار الذى أخذها إلى أيام وليال تستعين عليه بحبوب منع الحمل.. هكذا أخذتها الحياة من عذاب إلى عذاب حتى أنها كفت النظر إلى أبيها وأمها وانسحبت وحيدة إلى عالمها تجتر فيه الآلام هكذا أخذتها هذه الحياة إلى أحضان (علي) إذا تنسى فيها كل شىء فإذا ما حدثها عن الدموع كانت تقول أنها دموع الحب ولكنه كان يعلم أنها دموع عقدة الذنب.

كانا قد اتفقنا على هذه الحياة.. اللقيان مرتين أو ثلاثة فى الأسبوع مع بعض الادخار ولكن الرياح أنت بما لا تشتهيه السفن.. كان الخطب فادحاً إذ أن هناك من تقدم الصفوف إلى خطبتها.. قاومت بكل السبل ولكن أبوها أصر قالت له أنها مازالت صغيرة ولكنه لا يستجب.. قالت أنها فقيرة رد بأنه أيضاً فقير.. قالت لا أريده قال هو رجل تحمل شظف العيش و استطاع أن يدبر فى الحياة شقة صغيرة من حجرتين وهذا هو كل المستطاع وأقوى

الإيمان.. قاومت.. توسلت.. رفضت.. ثارت.. فما كان من أبيها إلا أن انفرد بها فشك فى حالتها الوجدانية وأدرك من طرف خفى أنه ربما يكون الحب فإذا به ينهال عليها ضرباً دون تصريح مخافة. حدوث الانتحار وأصر الأب وحدد موعد الخطبة.

أنها فى هذا اللقاء الوحشى الذى لم يزدهما إلا شوقاً فأخذها عارمة إلى عراه.. أدرك فيها الدمع فما كان منه إلا أن أحتواها.. لم تكن هى حدثته نفسه بأن هناك خطباً جللاً.

بعد آلاف القبلات وبعد اللقاء الثانى الذى ولجت إليه دامعة قالت له الحقيقية.. صدم.. قالت له أنها قاومت الأم ولكنها لم تصلح فى الصد.. قال هو القران ولكنها لم تسكت.. قالت إن كان أبوها يغتصبها فى هذا الزواج فإن العلاقة لن تنتهى.. أنت لى.. هذا الحب لنا.. وجسدى لن يمسه سواك، وجسدك لن يسمه سواى، هو القدر.. أبى هددنى بالقتل.

- ثم؟

- لم تتغير حياتى.. أنا لك.

- ولكنها ستكون الخيانة.

- ليكن.

انتهى اللقاء الوحشى الخمسين وكلها إصرار أن تبقى لحبيبها مهما كانت الظروف.. كانت تعلم أنها قادمة إلى خطب عصيب فقد لمست فى الشاب الذى تقدم إليها حلو الطلة ونقاء النفس والحب المريد الذى اندهشت له.

برغم هذا الحب العريض وهذه اللقاءات الصورية إلا أنه كانت فى جنب من السعادة كانت تعلم أنه فى النهاية ظلمات وذنوب كانت كلمة الزنا تجلدها.. تحطمها.. تميلها إلى عالم من ظلمات الآلام فيه كل شىء هو فى النهاية زنا.. أخذتها هذه الأحزان وربطتها الظلمات وحولتها إلى مرتبة من إفلاس فكرت أن تصارخ الخطيب بأنها لا تريده وأنها تحب آخر ولكنها خشيت أن يتسرب الخبر إلى أبيها فيقتلها.. كانت الأقدار أقوى منها فأستسلمت وقالت هو قدرى أى الخطيب.

جاء عليّ إلى حفلة الزواج راح يراقبها كأنه يسوفها إلى الموت.. الخطب كان فادحاً إذ أن هذه الليلة هى ليلة البكارة وهو يخشى أن يكتشف الزوج الحقيقة فتكون النهاية نهايتها جميعاً ولكن الطبيب طمأن على أن عملية ترقيع البكارة أصبحت كالماء والهواء ولا فرق وبالفعل مرت الليلة كحفل كما ينبغى.. انفرد الزوج برانيا

أخيراً كانت كلمتا (الزنا) والخيانة) تطارداها فى كل مكان.. عيناه البريئتان ابكتاها ولكنها جففت الدموع بسرعة فليس هذا يوم بيوم البكاء.

كان شغوفاً إليها أدركت فيه روح الفارس والحب المنقذ ولكنها كانت على العهد مع على شعرت أنها مشاع وأن هذا الجسد أصبح مضيعة بين رجلين أحدهما إختارته والآخر يسجنها بسجن من ود وألفة.. يداه راحت إليها فى حثيث ولكنها لم تستجيب إذا دعت الاستجابة كانت أفكارها هناك.. فماذا لو أدرك أنها ليست عذراء.. ماذا لو أن العملية الجراحية لم تنجح ؟ ماذا وماذا وماذا وفوق كل الأسئلة

أنها لا تريد أن يرتادها.. كان الموقف أقوى منها وما هى إلا دقائق حتى فاجأها بهدية الزفاف هدية اللقيان فتقبلتها باسمه تدعى السعادة.. يده تتخللها الآن..

كانت تُعتصر.. الشفاة نازفة.. الجسد يكتوى برداً.. القلب يتحطم عذاباً والوجدان مشتت بين كل الأفكار السوداء كانت تحاول أن تتحكم فى ذاتها ولكن فشلت.. ذابت بين يديه ليعلن جسدها الخيانة من الطرفين.. أليس هذا هو الجسد الذى أقسمت بألا يكون من إلا لعليّ أنه الآن هذا الجسد القذر الحقير الذى

يذوب بين يدى زوجها وزوجها فى كل الاتجاهات رجل آخر.. أهذه الشفاه ألم تقسم إلا أن تكون له أى لعلى؟ أين هى الآن.. يا لها من شفتين منافقتين حقيرتين.. أليس هذا هو الرحم الذى أقسمت ألا يرتوى إلا من مائه.. إنه الآن غدير آسن قد غطته الطحالب وبقايا الرغبة المجنونة.. أليست هذه هى الرغبة التى تأججت بين يدى على.. يا لها من رغبة متسكعة تعطى نفسها لمن يسيطر كانت ساعة من وقت أعطت فيها لزوجها هذه الإثارة القليلة التى بقيت من عذرية وصفتها بأنها قد انتهت فهى من ثم خائنة.

أما على فقد غلبته الأحزان فراح إلى بكاء ثقيل إذ أنه أدرك فيها أنها لم تعد له وأنها الآن بين يديه.. هو زوجها وأنه الآن خائن لرجل مثله.. أخذ يقلب حياته من البداية إلى هذه اللحظة التى وصفها بأنها سوداء فقرر أنه الجدب والفقر ولكن مهما كانت الأحوال فإنه لن يتركها مر يومان فداهمها بمكالمة تليفونية يعصرها الحزن.. قاومت بقدر ما تستطيع...

على : وما أخبار النار التى زرعتها فى جسدك الجميل قد غزاه.. سحقه.. تاركاً قلبى حطاماً دماه تسيل.

أنا فى القدر الآن مصلوباً أنا فى العالمينا ذاك الذليل أخذك منى

على عرس من مال أخذك من حب ماله مثيل.

- ماذا حدث شوى جسدى غزواً ومعه الآن التقبيل

استويت فى أحضانه ؟ قد كان، إذا أنا فى غليل

- تعالى إلى جسدى أشبعك يقيناً يرجف بالأباطيل

كانت تتمزق فى انتظار على.. زوجها الآن إلى أقاربه وقد وعدها بألا يغيب ليحيا هذه الأمسية الجميلة.. الزنا قد أتى عليها ظلمات.. أبوها يلعنها.. أمها تتبرأ منها.. وزوجها ذلك البلسم الشافى لا يستحق منها كل هذا الفجور.. زوجها يدعو لها فى صلاته فإذا بها تنقض الوضوء ضجراً وتباعد الصلاة نفوراً وتطعنه فى سويداء قلبه خيانة وجنوناً.

ولج على فى خفة إلى الدار.. احتواها فى ثوان.. ولج إلى حجرة النوم فى اقتحام وهنا؟؟ نعم هنا يا على.. كان يريد أن يسلخه منها ولكن كيف.. احتواها سريعاً بين يديه أطاح بملابسها فى سرعة البرق.. كان ينافسه فيها وقد استعد للقاء الوحشى ببعض العقاقير التى تطيل فترة الجماع.. كانت تدرك كل شىء ليس هذا ما تعودت مع على عليه إنه ثائر.. إنه مضطرب.. إنه يحاصرها حصاراً.. إنه فى أوج ثورته.. إنه يحتويها بشهوة من جحيم.. تركت نفسها له فقد

obeikandl.com

كانت تريد شذرة.. من استمتاع فإذا بها فى محيط من إستمتاع.

هيا إلى الحلم الذى لن يخبو هيا إلى اللقاء الموار.

ووالله ما أنا بتاركك حتى أزرع فى جسدى النار

والله أنى إليك لفى صبوة أحرقت كل الديار

فهيا إلى جحيم اللقيان نزرع به حياتنا آذار.

- أنا لك البلسم والحنان دائم الحرمان

أنا لك النيران تحترق فتتآكل النيران

ليكن الجحيم.. لتكن الخيانة ليكن الثوران

كان لقاء ثورياً إلى حد كبير حتى أنه قد تركها حطاماً كانت عارية فى المهد لا تعلم ماذا تفعل.. أثقال هى فوق أثقال ماذا فعل الزوج حتى ينال كل هذه الخيانة ؟ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.. كان فارساً فى زمن عز فيه الفرسان.

هو الكريم رغم الفقر والهوان.. هكذا سارت من اللغات إلى لغة الفقر التى أذهلتها كأن الفقر قد لا فكاك منه ماذا تفعل الآن هى بين رجلين فأدركت أنها كالمشاع.. لعنت كل شىء صبت جام غضبها على العالم وانتظرت ولكن آلامها كانت تعصرها وتحاصرها.

مر عام كامل فى هذا الاتون.. ومع هذا العام أصبحت أماً..

obeikandl.com

كانت المصيبة كبيرة فهى لم تعرف من هو أبو الأبن ؟ فصيلة دم على والزوج كانت من نوع واحد من هو الأب؟

هل هو على الذى لا يترك حيناً إلا ويأتيها ويشويها بهذا الجسد الجحيمى أم هو الزوج الذى اعتبرته ناهشاً لها.. الحب كان خالداً محطماً كل العقبات. والابن جاء ليتوج احزانها احزان لم يكن الطفل طفلاً فقد أسمته العار.. كان هذا الابن هو رمز الخطيئة كلها فتارة تحبه وتارة تكرهه البكاء كان مستديماً يأخذها من هدوءها إلى أوار القلق إذ أن الطفل كان بكاءً.. الآلام زادت تترا فماذا تفعل فى هذا الجحيم.. كانت تصارع كلمة جديدة فى حياتها كلمة النهاية.. أدركت أن الزنا قد عصرها وحولها إلى حطام أما على فقد أتى عليها عصفاً مأكولا فقد كان ينافس الزوج فى جسدها.. والزوج الفارس الذى مازال يدعو لها فى صلاته من أجل أن تصلى يغمرها أكثر فى عقدة الذنب تلك العقدة التى احتوتها هى الآن أدركت لعنة السماء الكاملة عليها وفيها.. أخذتها الأخزان التى لا تنتطفئ إذا ما أرضعت الأبن أو نظرت إلى عينيه.الإبن الزنا.. اللعنة.. الجنس.. الشهوة.. النهدان.. الزوج.. الظلمات. الخيانة.. الله.. النار.. جهنم.. اصطفت كلمات كبيرة المعنى فى حياتها فأخذت منها السعادة

وأحالتها إلى جحيم كان صوت الطفل يناديها إلى العدمية والأحزان حتى أتى عليها.. هكذا أخذتها ظلمات الزنا واستشعارها بلعنة الله ولعنة أبيها إلى وقت تنهى فيه كل شيء وللمرة الألف تجوب حياتها من مولدها إلى اللحظة فتجد أن الفقر قدرها وأنها قد ضجرت من شظف الحياة ,, اكتوت بالفقر الذى سحقها وحول جسدها إلى مشاع فأين المفر؟.

كل شيء فى حياتها أتى إلى اللوم فقررت أن تنهى كل شيء.. قررت الانتحار ولكن قبل الانتحار لابد أن تنهى المأساة.. لابد أن تأخذ الإبن إلى قبرها لتنهى بهذا عهداً من العار.. لم تكن تريد أن تبقى إلى زوجها ابنا ليس بإبنه هكذا قررت القرار النهائى ألا وهو الانتحار.

كانت الليلة هى آخر ليلة.. أعطت نفسها بالكامل إلى على كانت تودعه تركت لنفسها الحبل إلى الغارب.. احتوته.. احتواها.. أخذهما الجنون.. كانت تريد أن ترتوى منه بقدر المستحيل وقد كان.. تركها عصفاً مأكولاً بعد أن ودع الطفل بقبلة إلى رأسه ولم لا وهو من الممكن أن يكون ابنه.. كانت عارية وخائنة (جئت إلى الدنيا عارية وأذهب عنها عارية).

اقتربت اللحظة التى تقدم فيها الهدم.. تحطم فيها الآلام

openkanal.com

تسحق فيها كلمة زنا.. كانت تود الرحيل إلى العالم الآخر دون حزن أو لعنة وهكذا اقتربت حثيثا إلى طفلها تحمل وسادته الصغيرة ضغطت بالوسادة على وجهه لتعدم التنفس وما هى إلا دقيقة إلا وقد مات.

انهمرت الدموع التى تبكى كل شىء.. الابن هو رمز الخيانة واللعنة والعار.. الزنا.. الخيانة.. اللعنة.. جهنم فى حد ذاتها بعد دقيقة انتهت حياة رانيا منشدة

(أقمنا فى الحياة دهراً فما كان لنا فيها إلا العذاب
أعود الآن وحدى إلى قبرى نارً دونها الإياب.
أى أفارق حبى فى الظلام فقد حطمت فيه الالباب
الوداع.. ثم الوداع.. أيتها الحياة وداعاً بلا إياب.

كان اليوم عصيباً.. كان يوم الدفن.. يوم قد سحق الزوج تعاسة.. شله الموقف وأتى عليه القلق لماذا انتحرت القول الوحيد الذى وصلوا إليه أن الابن قد مات وأن رانيا قد انتحرت لموت الإبن.. هكذا كفن الزوج رانيا بدموعه

مضى على فى الجنازة لا يصدق أن رانيا قد ماتت.. طار النوم من عينيه اكتسحه الحزن أدرك أنها لم تستطع حياة الخيانة فراحت

إلى الموت لتستريح.. كان يعلم أن أحلامها كانت عريضة ولكن الفقر قد أتى عليها كان يعلم أن حبها الخالد له كان كل شيء وقد تم اغتيال هذا الحب ليحولها إلى مشاع.. أدرك فى عينيها فى الليلة الأخيرة وهن النهاية ويأس العالمين.. ودعها دون شعر فقد اشتهى الشعر وودعها دون نثر فقد انتهت المعانى.. راح يجول ببصره إلى قبرها أيان دفنها.. كان الصمت معتقل.. الجميع.. كانت الآية كبيرة فهى فى صلب الشباب.. ودع جثمانها للمرة الأخيرة منتحباً باكياً.. الوداع.. الوداع يا حبيبة القلب.. الوداع يا حب العمر كله.. الوداع

أما عليّ فقد راح إلى حياته تعيساً وحيداً ولكنه عجز أن ينهى فى حياته ثورة الجنس... وما قد روى عنه إلا أنه تحول إلى كل النساء ينهل منهن ما يروى ظمأه ويذهب رغبته كان يجامع فى كل النساء والفتيات رانيا أما زواجه فقد قيل أنه لم يتزوج.

الاثنين ٢٧ / ٦ / ٢٠٠٥ م.

openkanal.com

الفهرس

(1) أنا سناء الرهيبة 5
(2) بيسو 41
(3) إلى اللقاء 68
(4) القطة المغمضة 90
(5) الوهم 109
(6) حامد 146
(7) أبو إيناس 157
(8) الليلة الأخيرة 168
(9) السجق 174
(10) المستهلكون فى الأرض 178
(11) القبيلة 181
(12) إنى أحبك يا إيمان 183
(13) نهاية 216

obeikandl.com